

تأليف

يحي بن أبي الصفا بن أحمد
المعروف بابن محاسن
المتوفى ١٠٥٣م

دراسة وتحقيق

محمد عدنان البخيت

دار الآفاق الجديدة

المنازل المحاسنية

في الرحلة الطرابلسية

تأليف

يحيى بن أبي الصفا بن أحمد

المعروف بابن محاسن

(المتوفى ١٠٥٣هـ)

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد عدنان البخيت

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

الطبعة الأولى

١٤٠١هـ / ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدني وقد قارب نص هذه الرحلة ان يرى النور ان اتوجه بالشكر الجزيل الى عموم الزملاء الذين ساهموا بمديد العون لي اثناء اعداده للنشر. ويسرني بشكل خاص ان اعبر عن شكري للآنسة حياة الأسمر وللزميل الدكتور هاني العمد وكذلك الى الزملاء نوفان رجا الحمود وسمير الدروبي ولآخرين غيرهم كانوا خير عون لي. وسيكون سرورهم برؤية هذا العمل يصل الى ايدي القراء والباحثين حافزاً لي ولغيري من الزملاء المهتمين بتاريخ بلاد الشام لاستكمال نشر النصوص الجغرافية والرحلات المتعلقة بهذه البلاد وبمزيد من الغبطة والسرور اعبر عن كامل تقديري للسادة اصحاب دار الآفاق الجديدة، وللاستاذ رحاب عكاوي الذي أشرف على تصحيح واخراج هذا الكتاب، والاستاذ عبد الرحيم ابو حسين لما له من فضل في العمل على نشره.

ولله الحمد اولاً وآخراً

محمد عدنان البخيت

الجامعة الاردنية في

١٩٨١/٩/٦

ترجمة حياة يحيى المحاسني

صاحب هذه الرحلة هو الأديب الدمشقي الأصل والنشأة والوفاة يحيى بن ابي الصفا بن احمد المعروف بابن محاسن الذي تذكره كتب التراجم بالمحاسني، كان من أتباع المذهب الحنفي ولا يذكر الذين ترجموا له تاريخ ولادته وما يردنا عنه ضئيل. فيذكر محمد أمين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١ هـ /١٦٩٩ م) وعنه نقل المتأخرون، ما يلي: «كان أحسن آل بيته فضلا وكمالا، وأبرعهم استيلاء على المعارف واشتمالا» وانه تلقّى علومه من «منطوق ومفهوم»[1] على يد مجموعة من علماء دمشق، من بينهم الشيخ الكبير عبدالرحمن بن محمد بن عماد الدين بن محمد العمادي[2] الحنفي المفتي بالشام (ت ١٠٥١ هـ /١٦٤١ م)، وكذلك على يد الشيخ يوسف بن ابي الفتح بن منصور بن عبدالرحمن السقيفي الدمشقي الحنفي (ت ١٠٥٦ هـ /١٦٤٦ م)[3] الذي أصبح فيما بعد إماما للسلطان عثمان الثاني وللسلطان مراد الرابع (ت ١٠٤٩ هـ /١٦٣٩ م)، ولكن التصاق المحاسني الكبير كان مع الشيخ أحمد بن محمد المقّري

(١) محمد أمين بن فضل الله المحبي، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر، ٤ م، تصوير دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، م ٤، ص ٤٦٣.

(٢) حول حياته انظر المحبي، المصدر ذاته، م ٢، ص ٣٨٠ - ٣٨٩.

(٣) حول حياته، راجع المحبي، المصدر ذاته، م ٤، ص ٤٩٣ - ٥٠٠.

التلمساني[٤] المالكي (ت١٠٤١ هـ /١٦٣٢ م) الذي ورد الى دمشق سنة ١٠٣٩ هـ /١٦٢٩ م ونالت اعجابه، فيذكر المحبي عنه ما يلي: «ولما دخل اليها (دمشق) أعجبته فنقل اسبابه اليها واستوطنها مدة اقامته وأملى صحيح البخاري بالجامع تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح ولما كثر الناس بعد أيام خرج الى صحن الجامع تجاه القبة المعروفة بالباعونية وحضره غالب أعيان علماء دمشق. وأما الطلبة فلم يتخلف منهم أحد وكان يوم ختمه حافلا جدا، اجتمع فيه الألوف من الناس وعلت الأصوات بالبكاء فنقلت حلقة الدرس الى وسط الصحن الى الباب الذي يوضع فيه العلم النبوي في الجمعات من رجب وشعبان ورمضان وأتي له بكرسي الوعظ فصعد عليه وتكلم بكلام في العقائد والحديث لم يسمع نظيره أبدا »[٥]

في مثل هذا الجو العلمي صحب المحاسني الشيخ المقّري وأخذ عنه، وعند العودة الى كتاب **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، نجد ان المقّري كان قد أجاز المحاسني حيث يذكر ما يلي: «ومن الاجازات التي قلتها بدمشق الشام ما كتبته للأديب الحسيب سيدي يحيى المحاسني حفظه الله تعالى:

أحمد من زيّن بـــالمحـــاسن	دمشق ذات الماء غير الآسن
وانني عنـــــد دخول الشام	لقيـــت من بهـــا من الأعـلام
وان من جلتهم اوج الـــذكـــا	والنيّر المزري سنـــاه بـــذكـــا
ابن المحاسن الذي قد طابقا	منـــه مسمـــى الاسم اذ تسابقـــا

---

(٤) حول حياته انظر المحبي، المصدر ذاته، م١، ص٣٠٢ - ٣١١، كذلك مقدمة احسان عباس لكتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م١، ص٥ ، ١٤، حول ملازمته للمقري انظر ملاحظة اغناطيوس كراتشكوفسكي عن ذلك في تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ٢م؛ ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، م٢، القاهرة، ١٩٦٥ ص٧٣٧.

(٥) المحبي، المصدر والمكان ذاتهما.

اللوذعي الألمعي يحيى | لا زال رسم المجد منه يحيا
وكان قارىء الحديث النبوي | لدي في الجامع أعني الأموي
بحضر الجمـع الغزير الوافر | ممن وجوه فضلهم سوافر
فليرو عني كل ما يصح لي | بشرطه الذي يزين كالحلي[٦]

وعند سفر الشيخ المقّري الى مصر كان يتبادل الرسائل مع علماء دمشق وكذلك مع أفراد من البيت المحاسني. ويورد المقّري نفسه نص رسالة مؤرخة في الثاني من جمادى الثانية ١٠٣٨ هـ/٢٨ كانون ثاني ١٦٢٩ م، كان قد أرسلها يحيى لأستاذه يقول فيها: «ان الراقم لهذه الصحيفة المشرفة ببعض أوصافكم اللطيفة المرسلة لساحة فضائلكم المنيفة هو تلميذكم من تشرف بدرسكم وافتخر باجازتكم... وعلم شيخي محيط بصدق محبتي واخلاصها» ويتضح من هذه الرسالة انها جاءت جوابا على رسالة سابقة من المقّري نفسه حيث يقول المحاسني: «ثم لما ورد على عبدكم مكتوبكم الكريم صحبة حضرة العم المحب القديم»، وفي الرسالة ذاتها يعزّي المحاسني أستاذه بوفاة زوجته وابنته فيذكر: «غير انه ساءنا ما اتصل بمولانا من نفوذ قضاء الله تعالى الذي يعم في البنت والأم فجعل الله تعالى في عمر سيدي البركة». ولا يفوته ان يبعث بتحيات عدد من علماء وأعيان دمشق الى الشيخ المقّري الذي كان قد ارتحل الى القاهرة[٧]،كما اننا نجد ان يحيى المحاسني يرسل الى استاذه رسالة ثانية بعد عدة أيام من ارسال الرسالة الأولى وتاريخها في يوم الاثنين ١١ جمادى الثانية ١٠٣٨ هـ/٤ شباط ١٦٣٩م يشير اليها المقّري بقوله: «ووردت علي مكاتبات لجماعة من أعيان دمشق حفظهم الله تعالى، فمنها من الصديق الحميم الرافل في حلل المجد الصميم الخطيب الأديب

---

(٦) المقّري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨ م تحقيق احسان عباس دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، م٢، ص٤٣٠ ٤٣٢.

(٧) المقّري، المصدر ذاته، م٢، ص٤٥١ - ٤٥٧.

سيدي الشيخ المحاسني يحيى أسمى الله تعالى قدره في الدين والدنيا كتابان » يذكر في أولهما عن نفسه « ولم يزل يزين أفق المجالس بذكركم ولا يقتطف عند المحاضرة الا من زهدكم ولم ينس حلاوة العيش في تلك الأوقات التي مضت في خدمتكم المحروسة بعناية الملك المتعال »[٨] كما وان كتاب نفح الطيب يتضمن رسالة من تاج الدين المحاسني وبذيلها حاشية من محمد بن تاج الدين المحاسني[٩] (ت١٠٧٢هـ /١٦٦١م) تاريخها الرابع من جمادى الثانية سنة ١٠٣٨هـ /١ شباط ١٦٢٩م يطمئنان فيها المقّري عن أحوال دمشق، فجاء في تلك الرسالة: « وان سأل سيدي عن اخبار دمشق المحروسة دامت ربوعها المأنوسة، فهي ولله الحمد منتظمة الأحوال أمنها الله من الشرور والأهوال ولم يتجدد من الأخبار ما نعلم به ذلكم الجناب لا زال ملحوظا بعين عناية رب الأرباب »[١٠] ويفهم من رسالة أخرى ثانية بعث بها تاج الدين المحاسني، ان المقّري كان جاره حيث يقول: « وقد كانت الحال هذه وليس بيني وبينه حاجز الا الجدار، اذ كان حفظه الله تعالى جار الدار فكيف الان بالغرام وهو حفظه الله تعالى بمصر وانا بالشام »[١١] ولقد نظم المقّري قصيدة[١٢] في مدح أسر المحاسني فقال:

فبنو المحـــــاسن بيتـــــا   كبني المنجم في النجـابـة
فهم القرابـــــة ان عـــدمــت من الأنـــسام هوى القرابــة
فيهم محـــــــــــاسن جمة   منها الخطـابـة والكتـابـة

بالاضافة الى تلك الرسائل التي أوردها المقّري ليحيى المحاسني،

---

(٨) المقّري، المصدر ذاته، م٢، ص٤٤٩ ٤٥١
(٩) حول حياة محمد بن تاج الدين المحاسني، راجع المحبي: المصدر ذاته، م٣، ص٤٠٨ ٤١١.
(١٠) المقّري، المصدر ذاته، م٢، ص٤٥٩.
(١١) المقّري: المصدر ذاته، م٢، ص٤٦٠
(١٢) المقّري: المصدر ذاته، م٢، ص٤٦٢.

تبقى الرحلة هي الأثر الوحيد الذي وصلنا من مؤلفاته. ويشير المحبي الى مجموع للمحاسني ذكر فيه امالي شيخه المقّري لم نعثر له على وجود فلربما يعثر عليه يوما ما أحد الباحثين. وعن هذه الامالي يقول المحبي: «وكنت رأيت بخطه مجموعا ذكر فيه كثيرا من امالي شيخه المذكور وبدع فيه بتحف وصفه المحمود المشكور»[(١٣)]

كان يحيى المحاسني من جهة أمه سبطا لشيخ دمشق وعالمها، في مطلع القرن السابع عشر، الحسن بن محمد البوريني (ت١٠٢٤ هـ /١٦١٥ م) والمصادر المتوفرة لدينا لا تطنب كثيرا في اعطائنا معلومات كافية عنه وعن المناصب التي تولاها سوى انه ولي من المدارس المدرسة الغزالية[(١٤)] ودرّس بها العلم، الا ان أيامه لم تطل فوافته المنية في سنة ١٠٥٣ هـ /١٦٤٣ م[(١٥)] ورثاه أحمد بن شاهين القبرسي (ت١٠٥٣ هـ /١٦٤٣ م) أحد كبار أدباء دمشق بقصيدة أورد المحبي بعضا من أبياتها[(١٦)]

التشكيلات الادارية كما تعكسها الرحلة:

تقدم هذه الرحلة معلومات كافية لتكوين صورة عن التشكيلات لادارية في ولاية طرابلس الشام بعد اخضاعها بشكل مباشر للاشراف

(١٣) المحبي، خلاصة الاثر، م٤، ص٤٦٣، كذلك خير الدين الزركلي، الاعلام، م٩، ص١٨٧، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، م١٣، ص١٨٤

(١٤) المدرسة الغزالية عبارة عن زاوية بالجامع الأموي عرفت بهذا الاسم نسبة للامام ابي حامد الغزالي عند استقراره بتلك الزاوية زمن قدومه الى دمشق، ويذكر الشيخ عبدالقادر بدران ان التدريس قد توقف فيها، لمزيد من المعلومات حول هذه المدرسة وعن الذين درسوا فيها، راجع نجم الدين الغزي الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة.٣م، تحقيق جبرائيل جبور، دار الآفاق الجديدة ط٢ ١٩٧٩ بيروت، م٢، ص٤٧ - ٤٨، شمس الدين محمد بن طولون، لقلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ٢م تحقيق محمد احمد دهمان، دمشق ١٩٤٩، م١، ص١٠٥، ص١٠٦، ص١٠٧

(١٥) المحبي، المصدر ذاته، م٤، ص٤٦٣.

(١٦) حول حياة أحمد بن شاهين، راجع المحبي، المصدر ذاته، م١، ص٢١٠ ٢١٧ وكذلك المصدر ذاته، م٤، ص٤٦٣.

العثماني اثر تصفية وجود أسرة آل سيفا[١٧] التركمانية الأصل السنية المذهب، التي طالما نالت ثقة العثمانيين ونابت عنهم في ادارة تلك الولاية. ومن أبرز المناصب التي يأتي صاحب هذه الرحلة على ذكرها:

١ - منصب الوالي: كان شاهين باشا (ت ١٠٥٤ هـ/١٦٤٤ م)[١٨] يشغل هذا المنصب سنة ١٠٤٧ هـ/١٦٣٧ م وهو الذي تولى تصفية آل سيفا حيث يذكر المؤرخ البطريرك اسطفان الدويهي (ت ١٧٠٤ م) ما يلي: «وعندما وافا شاهين باشا الى البقيعة تقدمت اليه شكاوات في بيت سيفا انهم خرّبوا بلاد السلطان» فألقى شاهين باشا، عن طريق الحيلة، القبض على الأمير عساف آل سيفا «فأمر برفعه الى قلعة الحصن وفي اليوم الثاني نهار الأربعة علّقوه على البوابة بثيابه، ثم نادى شاهين باشا على رفاقه فقتلوا منهم مقتلة كبيرة واستباحوا خيلهم وأسبابهم» ثم تابع تصفية آل سيفا فألقى القبض على قاسم الجذوب، أحد ابناء يوسف باشا سيفا «وعلى اولاد ونسوان، وصار التفتيش في القرى والديورة على أرزاقهم وهرب الأمير علي (آل سيفا) الى عند علم الدين وتشتتوا السيفيلية وبادوا من أيالة طرابلس»[١٩] ويذكر المحبي ان آخر بني سيفا كانت امرأة جاورت بدمشق وكانت تعرف الشعر، سألها أحد الأدباء عن دولة آل سيفا وما كانوا فيه من النعمة فتنهدت وأنشدت:

---

(١٧) حول دور اسرة ال سيفا في تاريخ عكار وطرابلس وعن علاقتهم مع بقية القوى المحلية، ومقدار ما تمتعت به من ثقة الدولة العثمانية راجع مقالة:

Kamal Salibi, «The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579–1640» Arabica Vol. XX, (1973) pp. 25–52.

(١٨) حول حياة شاهين باشا، أنظر الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٣٣٦ - ٣٣٧ كذلك انظر محمد ثريا، سجل عثماني، أعيد تصوير طبعة اسطنبول الصادرة سنة ١٣١١ في مؤسسة Gregg International, Hants, 1971 م٣، ص١٣٣

(١٩) الدويهي، المصدر ذاته، ص٣٣٦ - ٣٣٧.

«كان الزمان بناغِرا فما برحت ... به الليالي الى ان فطنته بنا »[٢٠]

والصورة التي يعطيها المحاسني عن شاهين باشا على لسان أهالي الهرمل أنه كان ظالما[٢١]

بعد نقل شاهين باشا من طرابلس أنيطت ولايتها بشخص آخر يعرف باسم محمد درويش باشا[٢٢]، الذي كما يذكر الدويهي انه في زمانه كان قد اقتطع «بلاد جبيل والبترون وجبة بشري تنقطع من طرابلس وتكون تبع الشام وحكامها»[٢٣]، ولم يمكث درويش باشا طويلا في منصبه ذاك، اذ انه في سنة ١٠٤٩ هـ/ ١٦٣٩ م، استبدل بوال جديد اسمه محمد الأرناؤوط[٢٤] الذي اسند اليه اضافة في سنة ١٠٥٢ هـ /١٦٤٢ م، بيروت وصيدا، وتبوأ منزلة قوية أهلته ان يعمّر قصرا سبّب ضنكا للرعية عندما جبى منها ضرائب اضافية «ورمى شاشات وبوابيج على الرعايا وكانوا يتكلفون على حق الشاش أربعين قرشا وعشرين على البابوج، وكانت سنة مريعة على الناس من زود المال ومن السخرة في العمارة ومن البلص في الرمايا ومن محل القز حتى كثير من المعالفين تركوا الخصاص وانهزموا»[٢٥] وبعد عزلة تولى المنصب شخص آخر اسمه حسن باشا[٢٦]

أثناء غياب الوالي عن مقر ولايته كان ينوب عنه موظف يلقب «بالمتسلم» والشخص الذي كان يشغل هذا المنصب عند

---

(٢٠) المحبي. خلاصة الأثر، م٤، ص٤٧ ... ٤٩
(٢١) مخطوط اسطنبول، ٩أ.
(٢٢) مخطوط اسطنبول، ٢٤أ.
(٢٣) الدويهي، المصدر ذاته، ص٣٣٧ ... ٣٣٨.
(٢٤) المصدر ذاته، ص٣٣٨.
(٢٥) المصدر ذاته، ص٣٤١.
(٢٦) المصدر ذاته، ص٣٤٢.

زيارة المحاسني لطرابلوس، يدعى محمد اغا « افتخار الأماجد الكرام المتسلم يومئذ والمحافظ للبلدة من قبل شاهين باشا »[٢٧]

أما القلعة فكانت تقيم فيها القوة العسكرية العثمانية والتي يشير اليهـا المحـاسني بـاسم القبـة قولي[٢٨] (أي عبيـد البـاب السلطاني) والاغا عليهم كان يعرف باسم قرط اغا، وللقلعة أغا خاص بها اسمه الحاج احمد ووكيله (الكدخدا)، كان اسمه الحاج ناصر الدين الحمصي[٢٩]، كما يشير المحاسني الى حاكم لعكار اسمه احمد بلوكباشي ابن المغربي[٣٠]

٢ - الدفتردار[٣١]: بعد الفتح العثماني لبلاد الشام وحدت ولايات حلب ودمشق وطرابلس في دفتردارية واحدة مقرها حلب. وكان يشار لمن يتولى هذا المنصب الذي كان مسؤولا عن جمع الضرائب المستحقة من تلك الولايات الشامية باسم « عربستان دفترداري » أو « ولاية عرب دفترداري » أو « عرب جانب دفترداري »، وفي بعض الأحيان باسم « دفترداري ديار عرب ». ولكن في سنة ٩٧٥ هـ /١٥٦٧ م فصلت مالية دمشق عن حلب وأصبح لكل منهما دفتردار خاص بها وكانت ولاية طرابلس الشام باستثناء متحصلات الميناء ومقاطعة الحرير من مسؤولية دفتردارية دمشق الشام. الا انه في سنة ٩٧٩ هـ /١٥٧١ م،

---

(٢٧) مخطوط اسطنبول، ص١٣أ.

(٢٨) حول هذا المصطلح ودور تلك الفئة العسكرية في بلاد الشام، انظر:

A. Rafeq, The Province of Damascus, 1723-1783, (Beirut, 1966) PP. 30-42.

(٢٩) مخطوط اسطنبول، ٢١ ب.

(٣٠) مخطوط اسطنبول، ١٠ أ.

(٣١) عن منصب الدفتردار، انظر

B. Lewis-«Daftardar» E. I. 2 Vol. II P. 83.

فصلت جبلة عن دمشق والحقت بحلب[٣٢] ونلاحظ من نص الرحلة ان طرابلس الشام نفسها أصبح لها دفتردارها الخاص بها وهو مراد أفندي الذي كان قبل ذلك دفتردار دمشق الشام الذي بعد انفصاله عنها نقل الى طرابلس ليتولى دفترداريتها، وان المحاسني قام بهذه الرحلة استجابة لدعوة وجهها له مراد أفندي هذا. وكان يساعده في العمل « محاسبجي » يعرف باسم محرم جلبي الديار بكري[٣٣]، الذي كان قد قدم بصحبة شاهين باشا المذكور أعلاه، وللمحاسبجي « خليفة » أي وكيل يعرف باسم سليمان جلبي الشهير بابن المذبوح[٣٤] أما منصب « المقاطعجي » فكان موكولا لشخص يعرف باسم محمد بن نوح بشه، والجدير بالذكر ان والد نوح هذا كان من انكشارية دمشق[٣٥] ومن المناصب المالية التي يأتي المحاسني على ذكرها منصب « التذكرجي »، الذي كان يدون ملاحظات ومطالعات الوالي على الالتماسات، ومن جانب آخر يكون مسؤولا عن الاجازات المعطاة لأصحاب « التيمارات » أو « الاقطاعات »[٣٦] وكان رجب أفندي ابن ادريس الذي كان والده من بلوكباشية[٣٧] الشام، يشغل هذا المنصب عند زيارة المحاسني لطرابلس، وبجانب ذلك كان هناك منصب « الروزنامجي » وهو الموظف

(٣٢) انظر:
M. A. Bakhit, The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century (Ph. D. 1972), PP. 160–185.

(٣٣) مخطوط اسطنبول، ١٩ أ.
(٣٤) مخطوط اسطنبول، ٢٠ أ.
(٣٥) مخطوط اسطنبول، ٢٠ أ.
(٣٦) حول هذا المنصب، انظر
Sir Hamilton Gibb and Harold Bowen, Islamic Society and the West, (OUP) 1963 Part I PP. 135–136.

(٣٧) مخطوط اسطنبول، ١٩ أ.

المسؤول عن تدوين النفقات اليومية. وشغل هذا المنصب شخص باسم محمد أفندي من مدينة آق شهر، وخليفته، كان يعرف باسم مصطفى جلبي بن زين العابدين أفندي[٣٨] وأخيرا «المقابلجي»: أي الذي يدقق في المعاملات، كان من ضمن أصحاب المناصب القائمة في طرابلس، وكان يشغل هذا المنصب شخص يسمى محمد أفندي[٣٩]

من خلال استقراء هذه المناصب وأسماء الذين شغلوها نلاحظ ان الجهاز المالي كان بيد موظفين من غير السكان المحليين. كما يلاحظ ان من بين الذين عملوا فيه أبناء لأفراد القوة العسكرية المقيمة في دمشق. ويلاحظ من جانب آخر ان الولاة كانوا يستخدمون عناصر مسيحية محلية. فمثلا نجد ان الوالي حسن باشا كان له «كاخيه» مسيحي اسمه الشيخ ابو رزق البشعلاني[٤٠]

٣ - الوظائف الدينية: لقد أعاد العثمانيون تنظيم الجهاز القضائي المملوكي، فأعطيت المنزلة الأولى للقاضي الحنفي، لأن المذهب الحنفي كان المذهب الرسمي للدولة العثمانية ولم يكن هذا يعني الغاء بقية المذاهب، فقد كان يطلب من القضاة في الحاكم ان يعرضوا أحكامهم على القاضي الحنفي في المحكمة لاجازة مثل تلك الأحكام[٤١] وفي السنة التي زار فيها المحاسني مدينة طرابلس الشام كان عبدالكريم أفندي الكنغري من قصبة

---

(٣٨) مخطوط اسطنبول، ٢٠ أ

(٣٩) مخطوط اسطنبول، ١٩ ب.

(٤٠) الدويهي، المصدر ذاته، ص٣٤٣

(٤١) انظر:

M. A. Bakhit, Ibid, PP. 132 - 147.

بالقرب من أنكورية، قاضي البلدة وكان قبل انتقاله الى طرابلس قاضيا بمدينة قاسارية «كبير في السن يحب الدنيا الدنية ممتحن تمر به غالب الأوقات وهو في الأمراض... له نوع فضيلة واثار كتب كتبها بخطه جميلة.... وله تواضع كثير»[٤٢]، ويذكر المحبي انه حوالي سنة ١٠٤٨هـ /١٦٣٨م وربما قبل زيارة المحاسني ان عبداللطيف: المعروف بانسي وهو أحد موالي الروم (ت ١٠٧٥هـ /١٦٦٤م) كان قاضيا بطرابلس وانه كان على اتصال وله مراسلات مع علماء الشام[٤٣]، وقبل ذلك وحوالي سنة ١٠٤٤هـ /١٦٣٤م تولى قضاء طرابلس محمد بن جمال الدين بن أحمد الملقب بحافظ العجمي القدسي[٤٤] وعند استقراء اسماء الأشخاص الذين ذكرهم المحاسني، نجد ان معظم العاملين في المحكمة كانوا من العناصر السكانية المحلية، فرئيس الكتّاب في المحكمة كان اسمه القاضي محي الدين بن الحميدي وان شقيقا له باسم محمد كان أيضا يعمل كاتبا في المحكمة ذاتها، هذا بجانب كاتب آخر اسمه محمد البتروني، الذي يصفه المحاسني بأنه كان «في غاية العجز والعيّ والقصور» وكاتب ثالث يذكره باسم الشيخ صنع الله جلبي ابن الشيخ ابراهيم بن الجاموس[٤٥] ولا يكتم المحاسني نقده للأساليب المتبعة في المحاكم وأشار الى الفساد فيها، فمثلا في حالات الزواج يقول.. «وقد رأيت لهم في محكمتهم اختراعات عجيبة وأحوالا غريبة، منها ان الرجل اذا أراد أن

---

(٤٢) مخطوط اسطنبول، ١٣ أ

(٤٣) المحبي، المصدر ذاته، م٣، ص٢٣ - ٢٦، كما ان المحبي يذكر ايضا ان عبداللطيف بن بهاء الدين بن عبدالباقي البعلي الحنفي (ت ١٠٨٢هـ/١٦٧١م) كان قد تولى منصب القضاء في طرابلس الشام، المصدر ذاته، م٣، ص١٤ ١٦

(٤٤) المحبي، المصدر ذاته، م٣، ص٤١٢ ٤١٤.

(٤٥) مخطوط اسطنبول، ٢٠أ.

يتزوج فيأتي اليهم فيكتبوا في صدر ورقة بياض اذن مولانا بعد أوصاف تحضرهم باردة وقيود غير لازمة زايدة، القاضي بمدينة طرابلوس لفلان الفلاني ويسمون رجلا يعقد العقد اما من العلماء أو من الجهلا بأن يعقد عقد فلانة على فلان من غير مانع شرعي ويجعل القاضي امضاءه في اعلا الورقة ويدفعونها لمن يريد ان يعقد العقد ويقبض القاضي على ذلك ما صدر عليه الوعي من غير تسجيل لذلك ولا العلم بتفصيل ما هنالك ومنها ان غالب ما يصدر عندهم يكتبونه من غير تسجيل فيفضي ذلك الى ضياع حقوق الناس فحسبنا الله ونعم الوكيل »[٤٦]

ويزودنا المحاسني بأسماء العديد من الأفراد الذين كانوا يتولون مناصب الخطابة والامامة والتدريس في مساجد طرابلس. فمثلا يذكر التالية اسماؤهم ووظائفهم:

١ - الشيخ محمد ابن الشيخ محمود بن عبدالحق الخلوتي، امام جامع العطار وخطيبه، وله فيه خلوة[٤٧]

٢ - محمد أفندي ابن هبة الله أفندي ابن الشيخ ابراهيم الشهير بالظني ورث أباه في خطابة الجامع الكبير وفي نيابة المحكمة[٤٨]

٣ - الشيخ عبدالقادر بن عبدالحي الشهير بابن الجاموس، حنفي المذهب امام وخطيب البرطاسية[٤٩]

٤ - الشيخ صنع الله جلبي ابن الشيخ ابراهيم ابن الجاموس، كاتب

(٤٦) مخطوط اسطنبول، ٢٠ ب.

(٤٧) مخطوط اسطنبول، ١٥ أ

(٤٨) مخطوط اسطنبول، ١٦ أ

(٤٩) مخطوط اسطنبول، ١٦ أ.

بالمحكمة وخطيب بجامع التوبة[٥٠]

٥ - الشيخ مصطفى بن عبدالحي الشافعي، خطيب الناس بالجامع الكبير[٥١]

٦ - الشيخ أحمد المشهور بابن المالكي، أحد خطباء جامع طينال[٥٢]

٧ - الشيخ محمد بن مرحبا، أحد خطباء جامع طينال[٥٣]

٨ - الشيخ محمد بن الطابوش، رئيس مؤذني الجامع الكبير[٥٤]

أما الافتاء فكان الشيخ مصطفى بن كرامة، مفتي الأحناف[٥٥] بينما افتاء الشافعية كان بيد الشيخ عبدالكريم ابن الشيخ مصطفى الحموي الذي كان صاحب خلوة وملازمة للتدريس[٥٦] من هذه الأسماء نلاحظ ان معظم مناصب الخطابة والامامة والتدريس والآذان كانت تشغل من قبل عناصر محلية، وبالتالي فإن العلماء في طرابلس الشام كما في بقية الولايات العثمانية كانوا ملتصقين بالدولة من أجل الحصول على المناصب والوظائف، حيث ان الدولة هي التي كانت تقرر من يتولى هذه المناصب. ويورد المحاسني ذكرا لنقابة الأشراف التي كان يتولاها آنذاك شخص باسم السيد حسين ابن السيد يحيى الطرابلوسي[٥٧] والجدير بالذكر ان مثل هذا المنصب كان موجودا منذ العهد المملوكي حيث يزودنا أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١ هـ /١٤١٨م)، بنص «نسخة

(٥٠) مخطوط اسطنبول، ١٦ ب.

(٥١) مخطوط اسطنبول، ١٦ ب.

(٥٢) مخطوط اسطنبول، ١٦ ب.

(٥٣) مخطوط اسطنبول، ١٧ أ

(٥٤) مخطوط اسطنبول، ٢٠ ب.

(٥٥) مخطوط اسطنبول ١٩ ب، انظر ايضا محمد عدنان البخيت، «احداث بلاد طرابلس الشام، ١٠١٥ هـ/١٦٠٦م، ١٠١٦ هـ/١٦٠٧م»، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الاول، (١٩٧٨) ص ١٧١ ٢٠٦

(٥٦) مخطوط اسطنبول، ١٣ ب، ١٤ أ.

(٥٧) مخطوط اسطنبول، ١٤ ب.

توقيع بنقابة الاشراف بطرابلس[٥٨] » ويلمس القارىء لرحلة المحاسني ان الحركة الصوفية في طرابلس الشام كانت نشطة ولها عدد من الزوايا، فابن طبيخ له زاوية بالجبل فيها فقراؤه ومساكينه. أما منلا مصطفى المشهور بفدائي دده العنتابي فقد كان من أفاضل الدراويش المولوية، وكان للمولوية زاوية شيخها محمد أفندي الرومي. كما كان لآل سعد الدين الجباوي أتباع في طرابلس[٥٩] ومن مراجعة الأسماء التي يوردها نلاحظ بروز أسماء عثمانية مما قد يعكس اهتمام الدولة بالطرق الصوفية.

الخراب في ولايات الشام في القرن السابع عشر الميلادي:

اتصف الثلث الأول من القرن السابع عشر الميلادي في الدولة العثمانية بالقلق وبحركات العصيان، وقد رافق هذه الحركات محاولات عديدة للتوسع على حساب الدولة العثمانية وبالتحرش بها وخلق المشاكل لها سواء على الجبهة النمساوية في الغرب أو عن طريق الدولة الصفوية في الشرق حيث ان الدول الأوروبية المتحالفة بعد قبول الدولة العثمانية التوقيع على معاهدة (Sitvatorok) سنة ١٦٠٦م[٦٠]، قد تمكنت، في نهاية المطاف، من ان تتحول من دول مدافعة عن نفسها أمام العثمانيين، إلى دول تباشر بالتدريج التوسع على حساب الدولة العثمانية. كما نرى ان الدولة الصفوية الشيعية في بلاد فارس أخذت تجهد في شن الغارات على أراضي الدولة العثمانية، وخاصة اثناء حكم الشاه عباس الكبير

---

(٥٨) صبح الأعشى في صناعة الانشاء، م١٢، ص١٥٥.

(٥٩) مخطوط اسطنبول، ١٧ب، ١٨أ، ١٨ب، ٢٠ب، لمزيد من التفاصيل حول هؤلاء الأفراد راجع الهوامش عند مطالعة النص.

(٦٠) حول هذه المعاهدة انظر
B. Lewis, The Emergence of Modern Turkey: 2nd edition (O. U. P), 1968, P. 36.

(٩٩٦ هـ/١٥٨٨ م -١٠٣٨ هـ/١٦٢٩ م).وقدأدى ذلك باعدادكبيرةمن العناصر العسكرية العثمانية النظامية التي هربت من الخدمة العسكرية، والتي اطلقت عليها المصادر التاريخية لقب «السكمان» الالتجاء الى الزعامات والقوى المحلية في بلاد الشام. والجدير بالذكر ان هذه القوى المحلية موزعة بين حلفين رئيسيين: الحلف القيسي بزعامة الأسرة المعنية والحلف اليمني بزعامة آل سيفا: الأسرة التركمانية السنية المتنفذة في بلاد عكار والضنية وطرابلس الشام[٦١]، وكمظهر من مظاهر التفسخ والانحلال الذي أصاب القوة العسكرية العثمانية المقيمة في قلاع بلاد الشام، فإنها انقسمت الى فئات متناحرة حاولت كل فئة منها ان تجد لها معينا اما لدى القيسية أو اليمنية، وهذا أدى بالتالي الى اذكاء روح الصراع القبلي في بلاد الشام انذاك. وكانت الغلبة في معظم الاحيان للجناح القيسي الذي حظيت زعامته المعنية، الدرزية المذهب، بتأييد معظم قادة القوة العسكرية في دمشق. ولقد أدرك الأمير فخر الدين المعني بحسّه السياسي النفّاذ هذا الدعم له فنلاحظ انه شنّ عددا من الغارات على المناطق التي كانت خاضعة ليوسف باشا سيفا اما بتشجيع مباشر من رجال الدولة أو اغتناما للفرص من أجل توسيع دائرة نفوذه.

ففي عام ١٠٢٨ هـ /١٦١٨م وبتأييد من والي طرابلس العثماني، عمر باشا المشهور بالكتانجي، هاجم فخر الدين غريمه يوسف باشا سيفا فأحرق «جميع بيوت وسرايا عكار وعيّن المعلمين والقلاّعين لهدم حارات ابن سيفا وكانت حارات معتبرات، أخرج عليها اموال عظام، واستمر المعلمون في هذا الهدم أكثر من شهر حتى هدموا حارته وحارات توابعه

(٦١) انظر
M. A. Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, PP. 189-200.

وأقاربه فحصل لهم قهر وأي قهر »[٦٢]

كما هدم فخر الدين قلعة جبيل « وكانت قلعة عظيمة الشأن رفيعة البنيان من زمان الكفار »[٦٣] وبعد الانتصار الخاطف الذي أحرزه فخر الدين على منافسيه بما في ذلك والي دمشق العثماني مصطفى باشا، في معركة عنجر سنة ١٠٣٣ هـ /١٦٢٣ م، نهب بعلبك ومواشيها[٦٤] ومن ثمّ حاصر قلعتها وبنى حولها المتاريس « وعيّن تحت الخشب معلمين يبقبون حايطها نقرا بالازاليم بالليل والنهار »[٦٥] « وكان مقيما عندهم بالليل والنهار بحيث ان غداه وعشاه يروح اليه الى المتاريس ولا يفارقهم مقدار شبر من الاشبار »[٦٦] واثناء مدة الحصار التي جاوزت شهرا ونصف[٦٧] امر بقطع الأشجار المحيطة بالقلعة كي لا يستفيد منها الجنود المُحاصرون[٦٨] ويلاحظ انه عند استسلام اولئك الجنود « عين الأمير فخر الدين جميع من كان في المتاريس من الفعلة والمعلمين والقلاّعين وكانوا مقدار مئة وخمسين وامرهم ان يهدموا القلعة المذكورة فشرعوا في هدمها بالآلات وفي نقبها بالدبّورة وكانت قلعة عظيمة الشأن رفيعة البنيان »[٦٩] ثم تحول بعد ذلك ليحاصر قرية اللبوة[٧٠] القريبة

---

(٦٢) أحمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤ هـ/١٦٢٤ م). تاريخ الأمير فخر الدين المعني. حققه الدكتور اسد رستم والدكتور فؤاد افرام البستاني. منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩، ص ٧٨
أنظر أيضا مقالة:
Kamal Salibi, «The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579 – 1640» Arabica, Vol. XX, (1973), PP. 25–52.

(٦٣) الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ٧٩.

(٦٤) المصدر ذاته، ص ١٥٣ ١٥٦، ١٥٧

(٦٥) المصدر ذاته، ص ١٦١

(٦٦) المصدر والمكان ذاتها

(٦٧) المصدر ذاته، ص ١٧٢

(٦٨) المصدر والمكان ذاتها.

(٦٩) المصدر ذاته. ص ١٧٣

(٧٠) المصدر ذاته. ص ١٧٤.

امنها، حيث لقيت مصيرا مماثلا، ويضيف الخالدي الصفدي الى ذلك قوله »: «بعد ان اخربت السكمانية جميع دور بعلبك سوى دور امارا بيت الحرفوش لأنهم بقوا طول الشتوية يهدمون السقوف ويوقدون الخشب ومن كثرة الدهانات يشعل كالكبريت وبقيت المعلمين والقلاعين مجدين في تخريب قلعة بعلبك الى هذا الحين »[٧١]

هذه بضع اشارات لبعض الخراب الكبير الذي لحق بمنطقتي بعلبك وطرابلس على يد فخر الدين المعني، واننا عند استقراء رحلة يحيى المحاسني نجد انها تعكس لنا صورة مفصلة عن حالة الخراب الذي وصلت اليه البلاد: فقرية دمّر «التي جار عليها الزمان ولها دمّر» يصفها بقوله: «الا ان الظلم افقرها وغير محاسنها وأعفرها فسبحان الباقي على الدوام»[٧٢] وأما وادي بردى «فقد مسته الأيدي القاهرة بردى» فلم يكن باحسن حال من القرى التي مرّ بها، حيث يذكر عنه ما يلي: «وفي اثناء ذلك مررنا على قرى كثيرة كانت عامرة شهيرة خرب بعضها من المظالم ولم يبق به سوى الدعائم وبعضها عامر البنيان الا انه خال من السكان فتحيرت مما رأيت وقضيت بالعجب والاسف مما به شاهدته ودريت»[٧٣] وعندما مر بتكية الدورة «واذا هي بعد ان ادار الدوران عليها دورة، بها بعض أناس قطّان ليسوا بذوي مكان»[٧٤] ويلاحظ عند نزوله بجامع قرية بليتار «واذا به جامع كبير يحتاج الى مصلي ولو من ولد صغير»[٧٥] وشاهد ان قرية الطيبة خالية من اهلها «لا ينحو احد محلها»[٧٦] وفي بعلبك تبدت اكثر ضور الدمار

---

(٧١) المصدر ذاته ص١٨٢

(٧٢) انظر الرحلة ٣أ اسطبول.

(٧٣) انظر الرحلة ٣ب اسطنبول.

(٧٤) المصدر والمكان ذاتها.

(٧٥) المصدر ذاته. ٥أ اسطبول

(٧٦) المصدر ذاته. ٥ب. اسطبول.

بشاعة حيث يقول «واما البلدة فقد هربت اهاليها من المظالم وارتفعت الشفقة من حكامها والمراحم، ولما دخلنا بعلبك وجدتها خرابا قفارا لا يلوح بها شخص»[٧٧] ومثل هذا ينطبق على الهرمل «فاهلها حالهم اسوأ من كل حالك ولقد قدموا الينا باجمعهم وحملنا مشقة شكايتهم وتوجعهم»[٧٨]. وبعد وصوله الى عكار لاحظ بؤس تكيتها المعطلة نتيجة لمصادرة الوالي لاوقافها بعد زوال محبسيها ال سيفا كما ان حاميها كانا معطلين[٧٩] ولم يفته ان يشير الى الخراب الذي اصاب بيوت ال سيفا[٨٠] حتى مدينة طرابلس المبنية من الحجارة تخربت مبانيها «وانكسف انضره»[٨١] ويذكر بعض اسباب هذا الخراب كظلم الوالي شاهين باشا او وجود الاعراب على الطرق[٨٢] من هنا جاءت هذه الرحلة لتوضح لنا صورة الخراب الذي لحق ببلاد الشام في مطلع القرن السابع عشر الميلادي نتيجة لصراع القوى المحلية والانحلال الذي اصاب القوة العسكرية النظامية المقيمة في مختلف قلاع بلاد الشام العسكرية في اواخر القرن السادس عشر الميلادي ومطلع القرن السابع عشر.

الرحلة والرحالة الى طرابلس الشام في القرن السابع عشر الميلادي:

اجتذبت مدينة طرابلس الشام عددا من علماء دمشق لزيارتها في القرن السابع عشر الميلادي وخاصة في مطلع هذا القرن عندما كانت الاسرة السيفية في اوج عزها ومن هؤلاء العلماء الشيخ الحسن بن محمد

---

(٧٧) المصدر ذاته، ٥ب، ٦أ، ٢٧أ اسطنبول

(٧٨) المصدر ذاته، ٩ب، اسطنبول.

(٧٩) المصدر ذاته ١١٠، ١٠ب اسطنبول

(٨٠) المصدر ذاته، ١٠ب، اسطنبول.

(٨١) المصدر ذاته، ٢٠ب اسطنبول.

(٨٢) المصدر ذاته، ٨ب اسطنبول.

البوريني[٨٣] (ت ١٠٢٤ هـ /١٦١٥ م) الذي رحل الى طرابلس الشام في سنة ١٠٠٨ هـ /١٥٩٩ م، ونزل عند احد امرائها وسجل مشاهداته الى تلك المدينة في مؤلف لم يصلنا، سماه المنازل الأنسية في الرحلة الطرابلسيــــــــــة. كما وان رمضــــــــــان بن موسى العطيفي. (ت ١٠٩٥ هـ/ ١٦٨٤ م) زار طرابلس في سنة ١٠٤٣ هـ/ ١٦٣٤ م، ونشرت رحلته تلك باسم «رحلة الى طرابلس الشام» في مجلة الأبحاث الصادرة عن الجامعة الامريكية ببيروت سنة ١٩٧٠ م[٨٤]، وبعد خمس سنوات من رحلة العطيفي هذه، قام المحاسني برحلته الى طرابلس الشام وسمى رحلتـه: المنـازل المحاسنيـة في الرحلـة الطرابلسيـة، فكـأنـه استوحـى العنوان من عنوان رحلــة جــده لامــه البوريني، ورحلــة المحــاسني والعطيفي يجب ان تدرسا سوية لأنهما كتبتا خلال فترة زمنية متقاربة جدا، وكانت رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ /١٧٣١ م) التي قام بها في ٢٢ ربيع الأول سنة ١١١٢ هـ /٦ أيلول ١٧٠٠ م، المعروفة باسم: التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية من ابرز الرحلات المتعلقة بطرابلس الشام واكثرها ذيوعا، ولقد قام بنشرها مؤخرا (سنة ١٩٧١ م) الاستاذ **Heribert Busse**

وتجدر الاشارة هنا الى رحلة **John Sanderson** الذي زار طرابلس

---

(٨٣) عن الشيخ الحسن محمد البوريني، انظر المقدمة الوافية التي وضعها عنه الدكتور صلاح الدين المنجد في مقدمة كتاب تراجم الاعيان من ابناء الزمان. ٢م، منشورات مجمع اللغة العربية. دمشق. ١٩٥٩، ١٩٦٣ م١ ص٨ - ٢١، وكذلك محمد امين بن فضل الله المحبي.
خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر، م٢، ص٥١ - ٦٢

(٨٤) انظر

Stefan Wild, «Al-'Utaifis Journey to Lebanon in 1043/1634».

الأبحاث. م٢٣، كانون الاول، ١٩٧٠، ص٢١٣ - ٢٢٢، ولقد أعيد نشر هذه الرحلة مع رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي المعروفة باسم حلة الذهب الأبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز، تحقيق صلاح الدين المنجد، نشرتا تحت عنوان، رحلتان الى لبنان، ضمن سلسلة نصوص ودراسات، التي يصدرها المعهد الألماني للابحاث الشرقية. بيروت، ١٩٧٩

الشام سنة ١٥٨٧م وسنة ١٦٠١م ووصف لنا المدينة وذكر لنا قلعتها واشار للاوزان فيها وسمّى بعضا من السفن التي كانت ترد ميناءها. كما يجب التذكير برحلة هنري موندريل[٨٥] Henry Maundrell الذي زار طرابلس في طريقه من حلب الى القدس سنة ١٦٩٧م، ويذكر ان القنصل الانجليزي في طرابلس Francis Hastings قد استضافه في ذلك الوقت كما وان احد التجار الانجليز واسمه John Fisher كان قد اهتم به ويذكر كذلك القلعة التي كانت تشرف على المدينة، هذا بالاضافة الى قلعة ثانية الى الغرب ما بين المدينة والبحر، والجدير بالملاحظة هنا اشارته الى الرمل الذي كان يزحف على المدينة، كما وانه يشير الى جسر البرنز Prince الذي كان قد بناه Godfrey of Bulloign. ويذكر موندريل انه زار الباشا برفقة القنصل الانجليزي وقدم له الهدايا، كما وانه زار احد الأديرة التابعة للكنيسة الارثوذكسية حيث كان يقيم هنالك عدد من الرهبان يقيمون الصلوات ويمارسون طقوسهم الدينية، وكان ذلك الدير يقع الى جنوبي طرابلس وعلى بعد ساعتين منها على حد تعبير ذاك الزمان.

نسخ المخطوط التي اعتمدت في التحقيق.

اعتمدنا في تحقيق هذه الرحلة على مخطوطتين النسخة الاولى وهي على الأرجح مسودة المؤلف محفوظة ضمن مجموعة يهودا في مكتبة

---

(٨٥) راجع:

The Travels of John Sanderson in the Levant 1584-1602, edited by Sir William Foster, Reprint, 1967 PP. 50-1, P. 90.

هنري موندريل ولد سنة ١٦٦٥م. تخرج من كلية Exeter بانجلترا انتخب سنة ١٦٩٥م ليكون راعيا للشركة الشرقية في حلب حيث توفي هناك سنة ١٧٠١م لمزيد من المعلومات حول حياته انظر

Mohammad Ali Hachicho. English Travel Books About the Arab Near East in the Eighteenth Century, Leiden, Brill, 1965, PP. 42-44.

كذلك انظر مقدمة الرحلة.

Firestone بجامعة برنستون بالولايات المتحدة الامريكية[٨٦] وهي تقع ضمن مجموع مسجل تحت رقم (4670) وتشمل الاوراق ٨٣ ب -١١٣ ب تحوي كل صفحة منها على ثلاثة عشر سطرا بمعدل ثماني كلمات في السطر الواحد. ويوجد عليها الكثير من اللاحظات والتصحيحات المثبتة على الهامش ويبدو وكأنها نسخة المؤلف نفسه. وعلى الرغم من وجود الكثير من الكلمات المشطوبة الا أنه من الممكن قراءتها.. الا ان النص ناقص وغير كامل وفيه فجوات، وذلك لضياع وسقوط عدد من أوراق المخطوط، كما وأن هناك بعض الجمل والفقرات مكررة في اكثر من مكان في المخطوط ولقد اشرنا لهذا المخطوط في الهوامش عند التحقيق بـ(بر) نسخة برنستون.

والنسخة الثانية التي اعتمدنا عليها من هذا المخطوط محفوظة في مكتبة جامعة اسطنبول وهي مسجلة تحت رقم Arabça Yazma 4329 وتقع في ثمان وعشرين ورقة (٢٨ ورقة) في كل صفحة منها ثلاثة وعشرون سطرا، مكتوبة بخط جميل، والمخطوط كامل بدون نواقص وبدون فجوات. وقلما نجد مفارقات في القراءة ما بين نص هذا المخطوط وبين النص الوارد في نسخة برنستون، مما يرجح ان ناسخ هذه النسخة قد اعتمد نسخة برنستون او نسخة اخرى للرحلة ربما كانت النسخة النهائية الكاملة للرحلة. ونجد في آخر نسخة اسطنبول هذه ما يلي: «تجزت نسخا على يد العبد المذنب المفتقر لعفو ربه القوي درويش محمد الطالوي عفي عنه» فمن يكون درويش الطالوي هذا؟ عند العودة الى

---

(٨٦) انظر وصف رودلف ماخ Rudolf Mach لهذا المخطوط في الفهرس الذي أعده لمجموعة يهودا تحت عنوان:

Catalogue of Arabic Manuscripts (Yahuda Section) Princeton University Library Princeton University Press, 1977, P. 384.

الا ان ماخ يذكر خطأ تاريخ وفاة المؤلف في ذي القعدة سنة ١٠٨٩ هـ/١٦٧٨م والصحيح أن المحاسني كان قد توفي في سنة ١٠٥٣ هـ/١٦٤٣م.

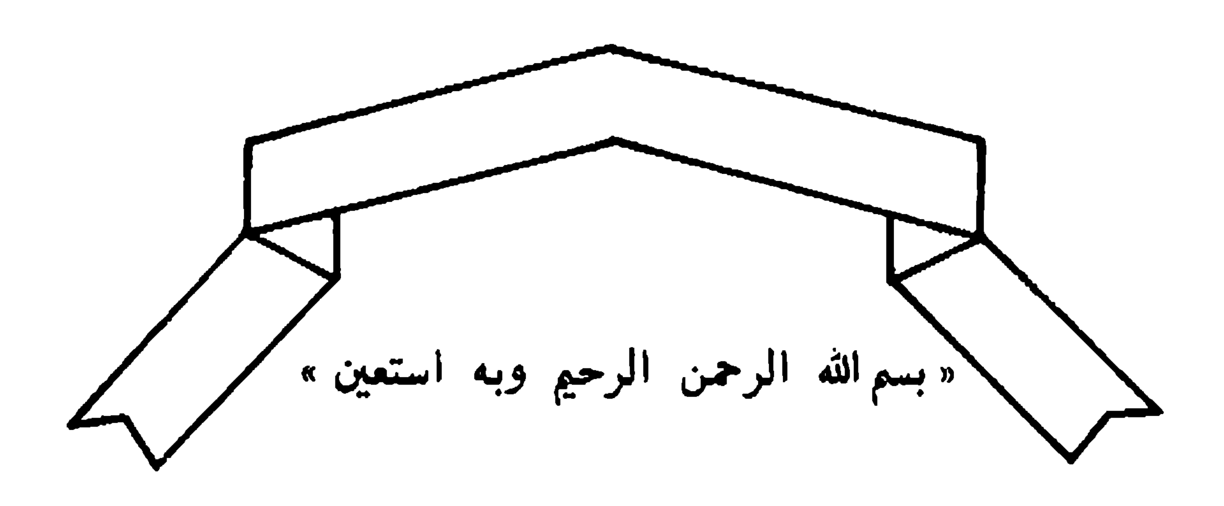
خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر لمحمد امين بن فضل الله المشهور بالمحبي، نجده يترجم لشخص من اعيان دمشق باسم درويش محمد ابن احمد وقيل محمد ابو المعالي الطالوي الارتقي الدمشقي الحنفي وانه توفي في سنة ١٠١٤ هـ/١٦٠٥ م[٨٧] من هنا يظهر لنا جليا ان ناسخ هذا المخطوط هو غير صاحب هذه الترجمة، لأن الرحلة كانت قد تمت بعد ذلك بأربعة وثلاثين عاما. ولكن المحبي نفسه يترجم لشخص آخر يعرف باسم «درويش محمد بن حسين بن مسيح الدمشقي الحنفي المعروف بابن القاطر وهو سبط ابي المعالي الطالوي المذكور قبله وربما اطلق عليه الطالوي ايضاً» ويضيف المحبي الى ذلك قوله: «كان فاضلا كاملا جيد الخط منسوبه بلغ الشهرة التامة في قبول خطه والتنافس فيه وكتب الكثير وكان حسن المطارحة لطيف الذاكرة وكانت وفاته في سنة اربع وسبعين والف (١٦٦٣ م)»[٨٨] من هنا يتضح لنا ان ناسخ هذا المخطوط هو درويش بن القاطر الذي يلقب احيانا بالطالوي وان جمال خط المخطوط يتفق مع وصف المحبي لحسن خط درويش بن القاطر الطالوي. ولقد أشرنا لهذا باسم مخطوط اسطنبول.

لقد عمدت عند تحقيق نص هذا المخطوط الى الاستفادة من المادة العثمانية المتوفرة عن المواقع والأمكنة والافراد، وذلك من اجل فائدة القارىء وبغرض تطعيم المادة العربية بالمعلومات العثمانية التي مازالت بعيدة عن متناول عدد كبير من الباحثين والقراء في العالم العربي.

---

(٨٧) المحبي، خلاصة الاثر، م٢، ص١٤٩ ١٥٥

(٨٨) المصدر ذاته، م٢، ص١٥٥ ١٥٦، حول ترجمة حياة والده راجع المحبي، المصدر ذاته، م٢، ص١١٨، من اجل ترجمة زكريا شفيق درويش. انظر المحبي، المصدر ذاته، م٢، ص١٧٥ - ١٧٦
يسرني هنا ان أعبّر عن جزيل شكري للزميل الدكتور محمد الهياجنة من قسم العلوم السياسية بالجامعة الأردنية الذي وفّر لي نسخة مصورة عن هذا المخطوط.



الحمدلله الذي جعل السفر جلاء للقلوب والابصار ومنتزها للخواطر والنفوس والأنظار، وأظهر من عجائب الأمصار وبدائع الأقطار من محاسن الآثار ما يحيّر العقول والأفكار. ويزيد المسافر علما على عظم[2] قدرته ويدعوه الى شكر آلائه ونعمته، والصلوة والسلام على المرسل لهذه الأمة ليرحموا القائل في ارشادهم: «سافروا تصحوا وتغنموا»[3] وعلى آله واصحابه المقتفين في رحلتهم لسيره والمقيمين على تتابع سننه وخيره.

وبعد، فأنه لما اقتضت الحكمة الالهية والقدرة الصمدانية بتوجه الفقير الى عفو مولاه الغني يحيى ابن ابي الصفا المحاسني (١ أ بر) غفر

---

(١) البسملة والدعاء ساقطتان من نسخة اسطنبول.

(٢) جاءت في نسخة اسطنبول عظيم.

(٣) جاء عند الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ/٨٥٥ م): «حدثنا عبد الله حدثني ابي حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن ابن حجيره عن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال: «سافروا تصحّوا واغزوا تستغنوا» مسند الامام أحمد بن حنبل، بيروت، لا.ت م٢، ص ٣٨٠، انظر ايضا أي ونسك، المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ٧م، بريل ١٩٤٣، م٢، ص٤٦٨. اما الامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ /١٥٠٥ م) فيذكر ما يلي «سافروا تصحوا وتغنموا» الفتح الكبير في ضم الزيادات الى الجامع الصغير، ٣م، جمع وتصنيف يوسف النبهاني، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٠ هـ /١٩٣١م، م٢، ص١٤٨

الله تعالى ذنوبه وستر في الدارين عيوبه الى مدينة طرابلس[1] المحمية صينت من كل أذية وبليّة. وكان الباعث لذلك والموجب لاشعارنا بتلك المنازل والمسالك هو أن المولى الأعظم والملاذ الأكرم الجامع بين فضيلتي السيف والقلم صاحب الحضرة العلية والطلعة البهية والسيرة الحسنة المرضية والصفات الكاملة والخيرات الشاملة والفضائل الوافرة والذات الجامعة لأنواع الكمالات المتكاثرة ذو المجد الفاخر والفضل الزاخر من شاعت فضائله وانتشرت فواضله وحسنت اخلاقه كما طابت شمائله مولانا وسيدنا مراد افندي لا (١ أ اسطنبول) زال لكل (١ ب بر) خير يبدي وكل معروف وجميل يسدي، فإنه حفظه الله تعالى بعد انفصاله من منصب دفتردارية الشام واستنشاق أهاليها من حسن سلوكه وعدالته عرف البشام وذلك عام بعد عام، أنعمت عليه السلطنة الخاقانية والدولة العثمانية لا زالت مؤبدة ومؤيدة للشريعة المحمدية بدفتردارية طرابلوس بلد الصفاء والأنس. فذهب بالسلامة اليها وودعناه والقلب في مخيّم حماه الكريم أودعناه وعدنا وسار والقلب فيه أوار

(الخفيف)

نسرق الدمع في الجيوب حياء وبنــا مــا بنــا من الأشواق

الى أن مضى شهر بالتقدير فأرسل الى الفقير يحثه على التوجه الى جنابه الخطير.

فبعد الاشارة والاستشارة جعلنا الأستخارة فرأيت القلب مائلا

---

(١) حول تاريخ مدينة طرابلس انظر السيد عبدالعزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي، الاسكندرية: ١٩٦٧، وكذلك عمر عبدالسلام تدمري، الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى، بيروت ١٩٧٣، وكتابه الاخر تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، الجزء الاول، طرابلس ١٩٧٨، ففي هذه المؤلفات الثلاثة مادة جيدة عن مختلف جوانب تاريخ مدينة طرابلس والمناطق المحيطة بها في العهود الاسلامية التي سبقت العهد العثماني.

للمسير ومنشرحا لهذا التقدير، فعزمنا على الترحال وشذدنا الاثقال وخرجنا من دمشق الشام (٢ أبر) صبيحة[1] نهار الاثنين تاسع عشري رجب الفرد الحرام، من شهور سنة ثمان واربعين والف من هجرة خير الأنام عليه أفضل الصلوة وأتم السلام. ولما وقفنا بثنية الوداع[2] وهمّ قبلي مزننا بالأقلاع، أنشد لسان الحال بعد أن عجز عن المقال.

(الوافر)

أودّعكم واودعكم جناني ... وانثر أدمعي مثل الجمان

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ... ولكن لا خيار مع الزمان

وانشد قول الاستاذ المقّري[3] سحّت عليه شآبيب الرحمة في البكور والعشي.

(المجتث)

لا كان يوم فراق ... ساق الشجون الينا

(٢ ب اسطنبول)

وسام نفسي ذلا ... يا من يعز علينا[4]

وقوله

ودعتهم ودموعي ... على الخدود غزار

فاستكثروا دمع عيني ... لما استقلوا وساروا

---

(١) من هنا ينقطع النص في نسخة برنستون

(٢) «ثنية مشرفة على المدينة يطأها من يريد مكة (وهي) اسم قديم جاهلي سمي لتوديع المسافرين» ياقوت الحموي (ت٦٢٦ هـ /١٢٢٨ م)، معجم البلدان، ٦ م، تحقيق فردناند وستنفلد. ليبزج، ١٨٦٦ (تصوير طهران) ١٩٦٥ م١، ص٩٣٧، ومثل هذا كرره، مع زيادات، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت٨٢٣ هـ /١٤١٥ م) في المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق الشيخ حمد الجاسر. دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٩ ص٨٠ ٨١.

(٣) عن المقّري راجع المقدمة أعلاه.

(٤) انظر نفح الطيب، م١، ص٩١ «ورواية صدر البيت الثاني في نفح الطيب: «فكم اذلّ نفوسا...

وودعنا الأهالي والأولاد، وأضرمت نار الفرقة في صميم الفؤاد، وسرنا على بركة الله تعالى فجزنا على صالحية[١] الشام وطلبنا المدد ممن بها من الأنبياء والأولياء الكرام ورأينا قبة سيّار[٢] العالية المقدار وهي في غاية الاشراف على الربوة[٣] وعلى دمشق التي هي من كل البلدان صفوة. وقدمنا على قرية دمّر[٤] التي جار عليها الزمان ولها دمّر واذا

---

(١) احدى خطط مدينة دمشق الشام الهادية لجبل قاسيون، سكنها المهاجرون من فلسطين على اثر الغزو الأفرنجي الصليبي لفلسطين في القرن الثاني عشر الميلادي. حول هذه الخطة راجع اوفى المصادر عنها: القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ٢م، تأليف شمس الدين محمد بن علي بن طولون (ت٩٥٣هـ /١٥٤٦م)، تحقيق الشيخ محمد أحمد دهمان، دمشق. ١٩٤٩ ١٩٥٦

(٢) قبة سيّار الشجاعي يذكرها ابن طولون عند تعداده لقباب الصالحية وانها فوق الردادين. القلائد، م١، ص٢٦٠، كما ويذكرها محمد بن عيسى بن كنّان (ت١١٥٣هـ /١٧٤٠م). في كتابه المروج السندسية الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق ١٣٦٦هـ /١٩٤٧م، ص٣٢ ويصفها الشيخ والقطب الصوفي عبد الغني بن اسماعيل النابلسي (ت١١٤٣هـ /١٧٣١م) بأنها «قبة عظيمة مشرفة على جانب الربوه وعلى دمشق» حلّة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز، تحقيق صلاح الدين المنجد، منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية. بيروت. ١٩٧٩ ص٥٩، نشرت مع رحلة العطيفي، باسم رحلتان الى لبنان، بالاشتراك مع اسطفان فيلد.

(٣) الربوة: منطقة مرتفعة مشرفة على مدينة دمشق وعلى غوطتها وانهارها من الجهة الشمالية الغربية. أطنب الجغرافيون والرحالة العرب في وصف جمالها وربطها بالربوة المذكورة في القرآن الكريم. انظر عبد الله بن محمد البدري، (ت٨٩٤هـ /١٤٨٨م) نزهة الأنام في محاسن الشام، المطبعة السلفية. القاهرة، ١٣٤١هـ، ص٨٢ - ٩٠، حول مختلف النصوص المتعلقة بها انظر وصفها في النصوص التي جمعها الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه: مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين. دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦٧، ص١٠٣، ص١٢٤ ،١٢٧، ص١٥٦ ص٢٢٩. ص٢٧١. ص٢٧٢ ،وعن اوصافها في مطلع هذا القرن راجع عبد القادر بدران (ت١٣٤٦هـ /١٩٢٧م) منادمة الاطلال ومسامرة الخيال، المكتب الاسلامي، دمشق ١٣٧٩هـ، ص٤٠٣ ٤٠٧.

(٤) دمّر «عقبة دمّر مشرفة على غوطة دمشق. وهي من جهة الشمال في طريق بعلبك». وفي القرن السادس عشر كانت تقع ضمن ناحية اقليم الداراني وتذكر ثلاثة من دفاتر الطابو، تعود الى القرن السادس عشر عدد سكانها على النحو التالي:

	ط.د.٤٣٠ (ح ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)	ط.د.٤٠١ (ح ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م)	ط.د ٤٧٤ (٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)
خانة	٣٢	٥٠	٤٥
أعرب	١٢	١	
مسيحي		١	-

والجدير بالذكر ان هذه الدفاتر محفوظة بمديرية المخطوطات باسطنبول. اما قرية دمّر الآن فهي احدى متنزهات مدينة دمشق ومشهورة باشجار الحور. ط.د ٤٣٠، ص٤٤٢، ط.د ٤٠١، ص٣١٦، ط.د ٤٧٤، ص٢٧٨.

بها قد حفتها رياض أريضة ومياه متدفقة مستفيضة. الا انّ الظلم أقفرها وغيّر محاسنها وأعفرها، فسبحان الباقي على الدوام الذي لا تغيره مضي الشهور وتوالي الأعوام.

ثم جزنا الى وادي بردا[1] وقد مسته الأيدي القاهرة بردى فإذا هو واد قد تدفقت فيه العيون والأنهار وأينعت بجوانبه الاشجار وتنوعت انواع الازهار وترنمت على اختلاف الألحان به سائر الأطيار، يتمنى المسافر لو حط عنده واقام عليه مدة يحنّ اليه قلب كل عاشق، ولا سيا اذا كان غريبا مفارق، لما به مع المنظر البهي العظيم من حسن اعتلال النسيم، الذي صدق عليه قول ابن نباتة[2] طيّب الله ثراه ونباته.

(الطويل)

يداوي أسا العشاق من نحوارضكم	نسيم صبا أضحى عليه قبول
بروحي من ذاك النسيم اذا سرى	طبيب يداوي الناس وهو عليل[3]

---

(١) كاسب ماحية وادي بردى في القرن السادس عشر الميلادي تشكل جزءا من بّر لواء دمشق الشام، وشملب هذه الناحية ضمن حدودها القرى التالية: دمّر، هامة، اسلوب(؟) برهلية والعشاقة، كفر العواميد، حسينية، دير قانون، كفر زيت، دير معرم(؟) ميجة، بسيا، أفرة، اشرفية الوادي، هريرة، بيسـ ـت (؟) انظر: طـ.د.٤٣٠، ص٤٢٢ - ٤٥٠، طـ.د.٤٠١، ٣١٦ - ٣٢٣، طـ.د ٤٧٤، ص٢٧٨ ٢٨٥

(٢) أبو بكر جمال الدين محمد بن شمس الدين محمد بن الحسن بن نباتة يرفع نسبه الى قبيلة حذام، ولد في القاهرة سنة ٦٨٦ هـ /١٢٨٧ م، ارتحل الى دمشق وزار حلب، وزار بلاط ملك حماه الاديب المؤرخ ابي الفداء، الذي كان يصل ابن نباته بجراية شهرية، وفي سنة ٧٤٣هـ /١٣٤٢م عيّن بديوان الانشاء في دمشق وكانت وفاته في ٨ صفر ٧٦٨هـ١٤ تشرين الأول ١٣٦٦م، ولمزيد عن حياته انظر عمر موسى باشا، ابن نباته المصري امير شعراء المشرق، دار والمعارف، القاهرة، ١٩٦٣م وكذلك راجع المقدمة التي وضعها محمد ابو الفضل ابراهيم، لكتاب سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، لابن نباته القاهرة، ١٩٦٤، ص٥ ٢٤ وكذلك مقالة:
J. Rikabi «Ibn Nubata» E. I^{2}., Vol. III, PP. 900-901.

(٣) انظر ديوان ابن نباته المصري، دار احياء التراث العربي، بيروت لا.ت، ص٤٢٢ اما «اسى» فلقد جاءت في النص بألف ممدودة وفي الديوان بالف مقصورة.

وقول الآخر (٣أ اسطنبول)

اطارح نسمات الأصيل لعلها تخـبر عمّن مـا اليـه وصول
واطلب من انفاسها برأ علّتي وهيهات ان يشفي العليل عليل

وقول ابن ظاهر[١]

(الكامل)

ان شئت تنظرني وتنظر حالتي[٢] قـابـل اذا هـبّ النسيم قبولا
فـتراه مثـلي خفـة ولطـافـة[٣] ولأجل قلبك لا اقول عليلا
فهو الرسول اليك مني ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

وهذا الوادي متصل بوادي الزبداني[٤] والانس بينهما قريب متداني

(١) ابن ظاهر: هو الشيخ فتح الدين محمد ابن القاضي محي الدين عبدالله بن رشيد الدين بن عبد الظاهر السعدي المصري، دخل ديوان الانشاء في عهد السلطان الظاهر بيبرس ويورد المؤرخ ناصر الدين محمد ابن عبد الرحيم بن الفرات (ت٨٠٧هـ /١٤٠٥م) نصوص عدد من التوقيعات التي كتبها الشيخ فتح الدين الذي توفي بدمشق في منتصف شهر رمضان سنة ٦٩١هـ /١٢٩١م وبعد وفاته «اجرى السلطان الملك الاشرف جامكتية وجرايته ورواتبه على ولده القاضي علاء الدين علي وكان صغير السن واستقر في جلة كتاب الانشاء» راجع محي الدين عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض سنة ١٩٧٦، ص٣٩٢؛ وكذلك ص١١ من مقدمة المحقق. القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، م١١، ص٢٣٥، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م٨، حققه قسطنطين زريق ونجلا عز الدين، ص١٤٤، وكذلك انظر النهارس، ابن كثير، البداية والنهاية، م١٣، ص٣٣١، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الآفاق الجديدة بيروت م٥، ص٤١٩

(٢) ورواية البيت عند ابن حجة الحموي كما يلي:
ان شئت تبصرني وتبصر حالتي.....

(٣) ورواية البيت عند ابن حجة الحموي كما يلي:
تلقاه مثلي رقة ونحافة....

خزانة الأدب وغاية الأرب، القاهرة، ١٢٩١هـ، ص٢٥٤، قارن نص هذه الأبيات وترجمة المؤلف لدى فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي (ت٧٢٦هـ /١٣٢٦م) تالي الوفيات في تراجم وفيات الاعيان، تحقيق جاكلين سوبله، منشورات المعهد الفرنسي دمشق، ١٩٧٤، ص١١٨ - ١٢١

(٤) كانت هناك ناحية في بر لواء دمشق تعرف بناحية الزبداني شملت القرى التالية: زبداني، حارا (؟)، كفر عامر، مضايا، عين حور، بجدة، سرغايا، رمانة، كفر تعاح، بفين، سعره (؟) عين النوت، دله، عطيب، كفريا، عين حلبه، مزرعة، بلودان، كبرى، الطويلة، دير سلوان، بطرونة، اسعومه (؟) طـ.د ٤٣٠، ص٤٥١ - ٤٦٥، طـ.د ٤٠١، ص٣٠٤ ، ٣٢٥، طـ.د ٢٦٣، ص٣٢٤ - ٣٤٦، طـ.د ٤٧٤، ص٢٨٧ ٢٩٥

وفي اثناء ذلك مررنا على قرى كثيرة، كانت عامرة شهيرة خرّب بضعها من المظالم ولم يبق به سوى الدعائم، وبعضها عامر البنيان الا انه خال من السكان، فتحيرت .مما رأيت وقضيت بالعجب والأسف مما به شاهدته ودريت، الى ان وصلنا تكية الدورة[1] واذا هي بعد ان ادار الدوران عليها دورة، بها بعض اناس قطّان ليسوا بذوي امكان، وبتنا بها ليلة وسرنا بعد صلوة الفجر مسرعين وعلى الله سبحانه وتعالى لم نبرح متوكلين ومررنا على الزبداني والقلب منشرح ببلوغ الاماني. ولقد أخبرني من اثق به أن بها بسفح الجبل منها بالقرب من كفر عامر[2] بئر يقال له بئر هوه في (دا) خله شباك يخرج الماء منه ثم ينزل في شباكين بحائط احد (الشبا) كين يذهب منه الماء الى جهة عنجر والاخر الى دمشق....[3] من مدة سنين أراد بعض الاعداء سد الماء على دمشق (فملأ) البئر قطنا بحيث سدّ الشباك الذي يذهب منه الى دمشق (كلمة مطموسة بسبب رطوبة لحقت بالأصل) تلك البلاد الزبدانية ووقفوا على البئر فمن الاتفاق (العجيب) والامر الغريب ان رجلا منهم كان معه

---

(١) تكية الدورة، يصفها رمضان بن موسى العطيفي (ت١٠٩٥ هـ /١٦٨٤م) عندما مرّ بها سنة ١٠٤٣ هـ /١٦٣٤م في طريقه الى طرابلس الشام بقوله: «فوصلنا الى تكية الدورة وهو مكان لطيف الى جانبه طاحون وهي انتهاء وادي بردا وابتداء ارض الزبداني» تحقيق Stefan Wild الابحاث، م٢٣، (١٩٧٠م)، ص٢١٦

(٢) نزودنا دفاتر الطابو العثمانية بالمعلومات التالية عن قرية كفر عامر من ناحية الزبداني.

		ط.د ٤٣٠	ط.د ٤٠١	ط.د ٣٦٣	ط.د ٤٧٤
	خانة	١٩٢	١٧٨	٣٠٦	١٥٧
مسلم	مجرد	١٧	٣٨	-	٥٠
	رجل دين	٤	٢	-	-
مسيحي	خانة	٥٠	٥٢	٧٧	٧١
	مجرد	١	٣	-	٣٦
		ص٤٥٢ - ٤٥٣	ص٣٠٥ - ٣٠٧	ص٣٢٩ - ٣٣٤	ص٦٥٠ - ٦٥٥

ويلاحظ من هذه الاحصاءات انها كانت مركز تجمع سكاني كبير وان نسبة المسيحيين كانت كبيرة ما بين السكان.

(٣) عدد من الكلمات المطموسة.

ولده والرجل (٣ب اسطنبول) يسمى بداود والولد سليان، ثم أنهم استنهضوا همة شاب منهم فنزل الى اسفل البئر ورأى القطن سادًا للشباك الذي الى جهة دمشق ورأى هناك فسحة وبها ايوان[١] به اشخاص بالقيود والسلاسل- فأخذ القطن والقاه على الايوان فقال له شخص منهم أين سليان بن داود هل هو موجود؟ فقال له نعم هو واقف على رأس البئر فحصل له وجل عظيم وقال له: بالله يا شاب اذا طلعت قبل يده عنا وقل له انهم ممتثلون أمرك ومقيمون على طاعتك وحكمك، واه والله لولاه لأخربت الدنيا جميعها في أقل من طرفة عين. فقال له ذلك الشاب: اياكم ومخالفة امره فإنه موجود وأنتم أخبر به فقالوا: لا بل ممتثلون امره أخبره بذلك، لئلا يوقعنا في المهالك. ثم انه خرج الشاب وقد شاب وأخبر بما سمع ورأى ومكث بعد ذلك ثلاثة أيام ثم صا ر من أهل القبور والثرى، فبهذا الخبر علم أن البئر المذكور هو من بناء السيد سليان بن داود على نبينا وعليهما الصلوة والسلام في العشي والبكور على توالي الدهور والشهور وبمناسبة هذه العجيبة والحادثة الغريبة ان الخبر بهذه الواقعة قال: ومن العجائب الشائعة ان ببلدة تدمر حماما بناه السيد سليان عليه السلام لبلقيس وهو عبارة عن قبة مبلطة وفي وسطها طاقة صغيرة فقط فإذا دخل الانسان الى ذلك المكان فيقف عند (الطا(قة) ويقول: اخرج يا ماء بإذن الله تعالى. فيخرج من تلك الطاقة دخان (على هيئة) ذلك الشخص ويحمّي المحل وينزل منه الماء يجري ويستمر حتى انه (يأتيه) بالكيس والصابون والماء يسكب منه ويخرج فينقطع وه....... (كلمات مطموسة) موجودة به

---

(١) الايوان كلمة فارسية الأصل وهي تفيد معنى القاعة الكبيرة. واستخدمت في العهد المملوكي بمعنى «دار العدل الشريف» حيث كان يجلس السلطان للاستماع لقصص المظالم. انظر قاموس تركجة دن انكليزجه يه لغت كتابي، لمؤلفه James Redhouse، اسطنبول، ١٩٢١، ص٢١٢، كذلك راجع احمد ابن علي القلقشندي (ت٨٢١ هـ/١٤١٨ م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، م٦، ص٢٦٣.

الآن. وأخبرني به ايضا من شاهده في هذا.... (كلمات مطموسة) جل شأنه وعز سلطانه.

وجزنا على قرية سرغايا[1] (كلمات مطموسة) (٤ أ اسطنبول) بمرآها، وبها تداوى، ورأيت بها ماء نابعا من عدة عيون تحوطه اشجار مذهبة كلون العاشق المحزون، قد خفق فيه النسيم وتسلسل فيه ماء أرق من الزلال وأحلى من التسنيم فتمنيت لو بها نزلنا، بل لو عند روضها الأريض اقمنا، فأنشدت عند ذلك متشوقا للأحبة بالشام وتلك المسالك قول القاضي المهذب ابن الزبير[2] في باب الانسجام الغرامي

(مجزوء الكامل)

بالله يا ريح الشمال اذا اشتملت الروح بردا
وحملت من نشر الخزامى ما[3] اغتدى للند ندّا

---

(١) سرغايا: احدى قرى ناحية الزبداني يذكرها دفتران من دفاتر الطابو على هذا النحو:

	ط.د.٤٣٠	ط.د.٤٠١
خانه	١٠٠	٩٧
مجرد	١	-
رجل دين	٢	-
	ص٤٥٧	ص٣١١

كما ويذكرها الشيخ عبد الغني النابلسي (ت١١٤٣ هـ /١٧٣١ م) عام ١١٠٠ هـ /١٦٨٩ م، في رحلته الى بعلبك ويكتبها سرغاية انظر: حلّة الذهب الأبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز ص٦٥ - ٦٦

(٢) ابن الزبير: الحسن بن علي بن ابراهيم بن الزبير ابو محمد الملقب بالقاضي المهذب كان كاتبا مليح الخط جيد العبارة، اختص بالصالح بن رزّيك، صنف كتاب الانساب رأى بعضه ياقوت توفي في ربيع الآخر سنة ٥٦١ هـ /١١٦٥ م راجع ترجمته في خريدة القصر وجريدة العصر (قسم مصر) تحقيق أحمد أمين واحسان عباس، القاهرة ١٩٥٢، م١، ص٢٠٤، ياقوت الحموي، معجم الادباء، ٢٠ م، تحقيق د.س مرجليوث اعاد نشره أحمد فريد الرفاعي، دار المأمون، القاهرة، ١٩٣٦، م٩، ص٤٧، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١ هـ /١٢٨٢ م)، وفيات الأعيان، ٨م، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ ١٩٧٢، م١، ص١٦١

(٣) وردت في نسخة اسطنبول وساقطة في نسخة برنتسون.

ونسجت ما بين الغصون اذا اعتنقن هوى وودّا
وهززت عند الصبح من أعطافها قدّا فقدّا
ونثرت فوق الماء من أجيادها للزهر عقدا
فملأت صفحة وجهه حتى اكتسى آسا وردا
فكأنما الفت فيه منهـ ـا صدغا وخدا
مرّي على بردا عساه يزيد في مسراك بردا
نهر كنصل السيف تكسر متنه الأزهار عمدا[1]
صقلته انفاس النسيم بمرّهن فليس يصدا
احبابنا ما بالكم فينا من الاعداء اعدا
وحيوة حبكم وتربة وصلـ ـكم ما خنت عهدا[2]

وقول الشريف الرضي[3]

(الطويل)

خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى فلاقي بها ليلا نسيم ربا نجد
فإن بذاك الجو حيّ عهدته وبالرغم مني ان يطول به عهدي
ولولا تداوي القلب من ألم الجوى بذكر تلاقينا قضيت من الوجد[4]

---

(١) ورواية البيت في خزانة الادب:
نهر كنصل السيف تكسو متنه الأزهار غمدا، ص٢٥٤
(٢) رواية البيت في خزانة الادب:
وحياة حبكم بتربة وصلكم ما خنت عهدا
راجع ابن حجة الحموي، خزانة الادب، ص٢٥٤
(٣) الشريف الرضي: ابو الحسن محمد بن ابي احمد الحسين الطاهر من نسل موسى الكاظم (٣٥٩هـ/٩٦٩م/٤٠٦هـ/١٠١٥م)، تولى نقابة الاشراف في بغداد وامارة الحج والنظر في المظالم. جمع نهج البلاغة المنسوب للامام علي بن ابي طالب انظر: ٤هـ.
ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان م٤، ص٤١٤ ٤٢٠.
(٤) انظر ديوان الشريف الرضي، ٢م. دار صادر، بيروت، ١٩٦١، وقد جاء البيت الثاني في الديوان على هذه الصورة:
فان بذلك الحي الفا عهدته وبالرغم مني ان يطول به عهدي
م١، ص٣٨٩.

ثم استقبلنا عقبة الرمانة وصادفت القلوب من ألم (٤ب اسطنبول) الفراق ملآنة، وقطعنا جبالا وأودية وصادفنا في ذلك امطارا مع وكف[١] ثلج وأهويه فجزمت حين شاهدت هذه الأحوال الطامة بأنها أحد عقبات يوم القيامة والتشبيه في المشقة والشدة لأن هذه تزيد في الصعود والهبوط وطول المدة، وحصل لي من ذلك غاية الألم والضجر ورجعت الى قول من قال: «السفر قطعة من سقر»[٢] وفي تلك الحال جال من أحبه في الخاطر والبال فقلت على سبيل الارتجال:

(الكامل)

ولقد ذكرتك والثلوج همولة سدت لاجل نزولها الابواب
وطلبت رؤيتك التي هي بغيتي ليزول عني وحشة وعذاب
فتعذر المقدور مما رمته وهملت دمع العين وهو سكاب

ثم القينا عصى التسيار بقرية يقال لها بليتار[٣] فنزلت بجامعها واذا

---

(١) وكف - هطل وقطر بغزارة، انظر: لسان العرب نسخة مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر القاهرة، لا.ت. مادة «وكف»، م١١، ص٢٧٩ ٢٨٠

(٢) مثل ورد في مجمع الأمثال، ٢م، لابي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني (ت٥١٨هـ/١١٢٤م) تحقيق محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٢، م١، ص٣٤٤ ويعني المثل لدى الميداني، عذاب جهنم لما فيه من المشاق.

(٣) قرية بليتار من ناحية بعلبك تذكرها اربعة دفاتر على النحو التالي:

	ط.د.٤٣٠	ط.د.٣٨٣	ط.د.٤٠١	ط.د.٥٤٣
خانه	٦٧	١٣٨	١١٤	٦٦
مجرد	١٤		٤	١٠
رجل دين	١		١	
	ص٧٥	ص٥٦	ص١٩٠	ص٨٢ - ٨٤

ويذكرها رمضان بن موسى العطيفي (ت١٠٩٥ هـ /١٦٨٤ م)، في رحلته كما يلي: ....الى ان وصلنا الى قرية بلينار وانخنا بفنائها تحت ظل الاشجار...»
انظر: رحلة العطيفي، الأبحاث، مجلد ٢٣، (١٩٧٠)، ص٢١٦ - ٢٢٢، وهي ترد في ص١٤٨، من النص المنشور مع رحلة النابلسي باسم رحلتان الى لبنان.

به جامع كبير يحتاج الى مصلي لو من ولد صغير. وفي هذه الليلة جاءني رجل من الأصحاب وقال: أني ذاهب من بعلبك الى الشام موطن الأهالي والأحباب وطلب مني لهم كتاب، فكتبت لهم في الحال، وصدرته بأبيات خطرت ذلك الوقت مع جمود الفكرة وخمود البال:

(الوافر)

لوالدنا مزيد الشوق اهدي ... مع العم الحفيظ لكل ودّ
وأبنيه هما روحي وصنوي ... خطيب الشام ذو الفضل المجدّ
واسمعيل من أضحى عزيزاً ... وان كان المضيّع حفظ عهدي
وللأخ الشقيق وفور شوق ... ووهبي ثم فضلي ثم سعدي
وأجلهم لها مني غرام ... مدا الانفاس لا ينفك عندي
واخوتنا جميعا غير اني ... اخصص احمداً شكري وحمدي
ومحي الدين من منا قريب ... بحب خالص مع حسن سرد

(٥ أ اسطنبول)

سلام وافر يسري اليهم ... مع الاشواق من قرب وبعد

وبعد ان اصبح الصباح واسفر وانقطع عن وجه الأرض اثار المطر خرجنا منها مجدّين، متهمين تارة ومنجدين، آونة في شمس مشرقة طالعة، واخرى في غيوم وسحائب هامعة، وجزنا على عقبة تسمى بالطيبة وهي في نزول وهبوط بين كل صخرة كالجبل تدع الحليم مذهولا في درجة القنوط، ولديها قرية الطيبة التي نسبت العقبة اليها، وهي خالية من اهلها لا ينحو احد محلها، ومنها الى مدينة بعلبك[1] المدينة

---

(١) كانت مدينة بعلبك كما تصورها دفاتر الطابو عامرة مأهولة بالسكان من المسلمين والمسيحيين واليهود. والعناصر السكانية التي كانت تقطن المدينة كانت على النحو التالي:

المشهورة المعروفة الغير منكورة صاحبة الفضائل في عظم صاحبة الفضائل في عظم بناء قلعتها كما هي في كتب المتقدمين مسطورة. فلمّا بها حللنا، وبقلعتها الخراب[1] نزلنا واشتد علينا الثلج والمطر وانقبض القلب وتكدر، فاذا هي لم يبق بها سوى اثار ابنية قديمة محكمة في محلها عظيمة. واما البلدة فقد هربت أهاليها من المظالم، وارتفعت الشفقة من حكامها والمراحم واضحت جنة الا أنها من السكان خالية، ومن كلّ ما يتحلى به عاطلة. وكنت رأيتها قبل ذلك فلسوء حالها اشتبهت علي عند ذلك، فقلت مرتجلا في ما هنالك.

(الطويل)

ولما دخلنا بعلبك وجدتها خراباقفارا لايلوح بهاشخص
فقلت لصحبي عن قريب تغيرت وقد كان عهدي وهي بالخير تختص

		ط.د..٤٣٠ (ص٢٢ ٣٤)	ط.د ٢٨٣ (ص٦ - ٣٥)	ط.د.٤٠١ (ص١٦٨ ١٧٩)
مسلمون	خانه	١٣٣٨	١٦٣٠	١٤٤٥
	مجرد	١٢٩	١٨٢	١٧٩
	امام	١١ + ٣ ساده	٢٧	١٣
	نصارى خانه	١٢٥	١٤١	١٤٥
نصارى				
	مجرد		٦١	١٠
	يهود خانه	٣٠	٢٣	٣٠
	مجرد	-	٦	٦

(١) حول الخراب الذي لحق بها نتيجة للصراع ما بين الامير فخر الدين المعني وما بين منافسيه من الأمراء الحرفوشيين وحلفائهم راجع أحمد الخالدي الصفدي (ت١٠٣٤ هـ /١٦٢٤م)، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، حققه اسد رستم وفؤاد افرام البستاني، بيروت ١٩٦٩، ص١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١، ١٧٣ كذلك انظر: وصف الشيخ عبدالغني النابلسي لما لحقها من خراب، حلة الذهب الابريز، ص٨٥، ويذكر ان الذي خرّبها ابن معن أمير الدروز والتيامنة بسبب ما وقع بينه وبين بني الحرفوش، وقبل ذلك وصف العطيفي الخراب الذي لحق بها كما يلي: «ثم دخلنا مدينة بعلبك وهي يومئذ خراب خرّبها فخر الدين بن معن لما تحارب مع بني الحرفوش في خبر يطول ولم يبق منها غير جامعها الكبير ومعبدها الخطير والخان الذي بقربه». ص٢١٦ - ٢١٧، وفي ص١٤ من الكتاب المنشور باسم رحلتان.

أجابوا بأن الظلم هرّب أهلها   ولم يبق فيها ما يدار به بحص
وقلعتها تلك العظيم بناؤها   لقد ذكرتها الاقدمون وقد نصّوا
ايادي ،ابن معن اخربتها فلم تجد   سوى حجر ملقى عظيم به جص
وحاكمها الآن علق وظالم   فلا يرتجى منه منال ولا قرص
وقاض بها بالجهل قد شاع واغتدى   يدب بها ظلما وليس له رقص
(٥ ب اسطنبول)
وكاتبه مصلي الهلالي قد اختفى   فلم نجتمع معه وهذا هو الشقص[١]

وكأنك بها ولم تكن بين البلاد كامرائها[٢] الحرفوشية حيث انهم كأنهم لم يكونوا بين العباد وهكذا يفعل الزمان وعلى هذا يدور الدوران.

وليست[٣] بأول بلدة جار عليها الزمان وأخنى بمصائبه لديها الدوران، بل هي أحسن حالا من المملكة الاندلسية حيث بها رسوم الشريعة المحمدية، وأما تلك فقد استولت عليها النصارى وصارت اهلها مما اصابهم حيارى كما ينبي عن أمرها الغريب قصيدة الامام الاريب والهمام الأديب السيد يحيى القرطبي[٤] حين أرسلها لما وراء البحر من

---

(١) الشقص هنا نعني الحظ والنصيب: لسان العرب.

(٢) الاسرة الحرفوشية من العائلات الشيعيّة التي كانت صاحبة نفوذ في منطقة البقاع ولقد أوكل اليها في اواخر العهد المملوكي أمور بلاد بعلبك وادمجت في العهد العثماني ضمن اطار نظام التيمار، كانت متقلبة في تحالفاتها السياسية المحلية وبعد الانتصار السريع الذي احرزه الأمير فخر الدين المعني في موقعة عنجر سنة ١٠٣٥ هـ /١٦٢٥ م: انزلت ضربة قاصمة بتلك الاسرة التي توارت الى حين عن مسرح الاحداث المحلية، حول هذه الاسرة راجع:

M.A. Bakhit, The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century. Ph. D. Thesis, (SOAS 1972) PP. 200-204.

(٣) من هنا يبدأ النص في نسخة برنستون من جديد.

(٤) السيد يحيى القرطبي: يذكره شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ /١٦٥٨ م) على انه من «الدوحة العلية العلوية» وانه أسر بالاندلس وارسل هذه القصيدة الى السلطان العثماني سليمان القانوني. ويورد الخفاجي نصّ قصيدته. والمرجح لدى مؤرخي الأدب الاندلسي ان هذه القصيدة من نظم صالح بن يزيد بن صالح بن شريف الرندي. راجع. ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا. م ١

ملوك المغرب كصاحب مراكش وغيره وهي عن لسان حالها معرب وهي:

(البسيط)

لكل شيء اذا ما تم نقصان	فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الأمور كما شاهدتها دول	من سره زمن ساءته أزمان
وعالم الكون لا تبقى محاسنه	ولا يدوم على حال لها شان[1]
يمزق الدهر منا[2] كل سابغة	اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفتى[3] ولو	كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
اين الملوك ذوو التيجان من يمن	واين منهم اكاليل وتيجان
واين ما شاده شداد في ارم	واين ما ساسه في الفرس ساسان
أتى على الكل أمر لا مرد له	حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك	كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله	وامّ كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب	يوما ولم يملك[4] الدنيا سليمان
فجائع الدهر انواع منوعة	وللزمان مسرات واحزان

(٦ أ اسطنبول)

تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣٧٠ ، ٣٧٤، وكذلك أحمد بن محمد المقري. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، م ٤، ص ٤٨٦ ، ٤٩٠ حول أبي البقاء الرندي راجع مقالة الاستاد عبد الله كنون، «ابو البقاء الرندي وكتابه «الوافي في نظم القوافي» صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، م ٦، (١٩٥٨)، ص ٢٠٥ ، ٢٢٠

(١) جاء البيت في نفح الطيب:

وهذه الدار لا تبقي على أحد	ولا يدوم على حال لها شأن

(٢) في نفخ الطيب: حتما.

(٣) في نفخ الطيب: للفناء.

(٤) جاءت في نفح الطيب: ولا ملك.

وللمصائب[1] سلوان يهونها[2] ... وما لما حلّ في الاسلام[3] سلوان

وهي الجزيرة امر لا عزاء لـه ... وهي[4] لـه احد وانهد ثهلان

اصابها العين في الاسلام فامتحنت ... حتى خلت منه اقطار وبلدان

فسل بلنسية ما شأن شاطبة[5] ... واين قرطبـة[6] ام اين جيّـان

واين حمص وما تحويه من نزه ... ونهرها العذب فياض وملآن

كذا طليطلة[7] دار العلوم فكم ... من فاضل[8] قد سما فيها له شأن

واين غرناطة دار الجهاد وكم ... اسد بها وهم في الحرب عقبان

واين حمراؤها العليا وزخرفها ... كأنها من جنان الخلد عدنان

الماء تجري بساحات القصور وقد ... حفّت بجدولها زهر وريحان

ونهرها العذب يحكي في تسلسله ... سيوف هند لها في الجو لمعان

(٣ أ بر)

واين جامعها المشهور كم تليت ... في كل وقت به أي وفرقان

وعالم كان فيها للجهول هدى ... مدرس وله في العلم تبيان

وعابد خاشع لله مبتهل ... والدمع منه على الخدين طوفان

واين مالقه مرسى المراكب كم ... رست بساحلها فلك وغربان

وكم بداخلها من شاعر فطن ... وذي فنون لـه حذق وتبيان

وكم بخارجها من منزه فرح ... وجنّة حولها نهر وبستان

واين حارتها الزهرا وزندتها ... واين يا قوم ابطال وفرسان

واين بسطة دار الزعفران فهل ... رأى شبيها لها في الحسن انسان

---

(١) جاءت في نفح الطيب، وللحوادث.

(٢) جاءت في نفح الطيب: يسهلها.

(٣) جاءت في نفح الطيب: بالاسلام.

(٤) جاءت في نفح الطيب: دهى، وبدل وهي الثانية هوى.

(٥) جاءت في نفح الطيب: مرسيه.

(٦) جاءت في نفح الطيب: شاطبة.

(٧) جاءت في نفح الطيب: واين قرطبة.

(٨) جاءت في نفح الطيب: عالم.

وكم شجاع زعيم في الوغى بطل بدا[1] له في العدا فتك وامعان

كم جدلت[2] يده من كافر فغدا يبكيه من ارضه اهل وولدان

وواد ياش غدت بالكفر عامرة وردّ توحيدها شرك وطغيان

كذا المرية دار الصالحين فكم قطب بها علم غوث له شان

قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء اذا لم تبق اركان

(٦ ب اسطنبول)

تبكي الحنيفية البيضاء من اسف كما بكى لفراق الالف هيمان

حتى المحارب[3] تبكي وهي جامدة حتى المنابر تبكي[4] وهي عيدان

على ديار من الاسلام خالية قد اقفرت فلها بالكفر عمران

(٣ ب بر)

حيث المساجد قد صارت كنائس ما بهن[5] الا نواقيس وصلبان

يا غافلا وله في الدهر موعظة ان كنت في سنة فالدهر يقظان

وماشيا مرحا يلهيه موطنه أبعد حمص يغر المرء اوطان

تلك المصيبة انست ما تقدمها وما لها مع طوال الدهر نسيان

يا راكبين جياد[6] الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان

وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام الليل[7] نيران

وراتعين وراء البحر في دعة لهم باوطانهم عز وسلطان

اعندكم نبأ من اهل اندلس فقد سرى بحديث القوم ركبان

كم تستغيث بنو المستضعفين[8] وهم قتلى وأسرى فلا[9] يهتز انسان

---

(١) جاءت في النص بدلّي والتصحيح من الريحانة، م١، ص٣٧٣.

(٢) جاءت في الريحانة، جندلت، م١، ص٣٧٣.

(٣) جاءت في نفح الطيب: المحاريب.

(٤) جاءت في نفح الطيب: ترثي.

(٥) جاءت في نفح الطيب. ما فيهن.

(٦) جاءت في نفح الطيب: عتاق.

(٧) جاءت في نفح الطيب: النقع.

(٨) جاءت في نفح الطيب: بنا المستضعفون.

(٩) جاءت في نفح الطيب: فما.

ماذا التقاطع في الاسلام بينكم وانتم يـا عبـاد الله اخوان
ألا نفوس أبيّـات لهـا همم أما على الخير انصار واعوان
يا من لنصرة قوم قسّموا فرقا سطا عليهم بها كفر وطغيان[1]
بالامس كانوا ملوكا في منازلهم واليوم هم في قيود[2] الكفر عبدان
يا ربّ طفل وام حيل بينهما كما تفرّق ارواح وابـدان
وغادة ما رأتها الشمس قد برزت كأنما هي ياقوت ومرجان[3]
يقودها العلج عند السبي صاغرة[4] والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام وايمان

(٤ أ بر)

هل للجهاد بها من طالب فلقد تزخرفت جنة المأوى لها شأن
واشرق الحور والولدان من غرف فازت لعمري لهذا الخير شجعان
ثم الصلوة على المختار من مضر ما هبّ ريح الصّبا واهتز اغصان

(٧ أ اسطنبول)

ولقد أخبرني العالم السري شيخنا مولاي أحمد المغربي المقّري عن هذه البلدة وما لاقى[5] اهلها من المصائب والشدة وذكر عنها أشياء تحير العقول من أربابها منها انها كانت عليّة من فسطاط الاسلام الذي كان بها، وعلوّهم أهلها ونباهة شأنهم وموضعهم العلي من اقتناء العلوم والمعارف والفهوم[6] التي يضيق عن الافصاح عن بعضها نطاق كل

---

(١) جاء البيت في نفح الطيب:

يـا من لـذلـة قوم بعـد عزّهم أحـال حـالهم كفر وطغيـان

(٢) جاءت في نفح الطيب: بلاد.

(٣) جاء صدر البيت في نفح الطيب:

وطفلة مثل حسن الشمس، اذا طلعت......

(٤) جاء صدر البيت في نفح الطيب: يقودها العلج للمكروه مكرهة.....

(٥) جاءت «وما لاقا».

(٦) لا يذكرها صاحب لسان العرب ولا صاحب تاج العروس بهذه الصيغة.

منطيق ويجلّ عن الاحصاء والاستقصاء بالتحقيق، حتى قيل كان بها سبعون الفا من الأبكار يحفظن المدونة لابن قاسم المالكي[1] العالي المقدار، وأنه كان بها اذ ذاك ثلاثون الفا من الأبكار يكتبن على الفتوى هذه همم اناثها فما الظن بذكورها ورأيت بخط بعض العلماء ما صورته: «واما المدينة المكرمة قرطبة (٤ب بر) فإنها من حسن البناء ونظم التأليف بالموضع الرفيع المنيف. وأما جامعها فلم يبن في ديار المشرق نظيره وهو الآن مقفل مغلق لا يجسر جاسر على فتحه، لما رأوا من الآيات التي ملأت قلوبهم هيبة واعظاما له، وجعلوا به الكتب الاسلامية التي هي أعظم التأليف وأنبه التصنيف بحيث الأرضة يسمع لها دوي كدوي النحل فيها على ما اخبرنا بذلك غير واحد. وقيل ان الربع المعمور المشتمل على الأقاليم السبعة صوّر في مثال طاوس وأن بلاد الاندلس جاءت مؤخره وهو أحسن ما في الطاوس وأمثل. وقد خصّ الله تعالى تلك البلاد الكريمة بخصائص[2] اجتمعت فيها ومزايا لا توجد في غيرها بحيث ما هو متفرق في البلدان مما هو غاية في نباهة الشأن، فمن أوصافها ما ذكره البكري رحمه الله تعالى انها[3]. شامية في طيبها وهوائها، ويمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم[4] جنّاتها، صينية في جواهر (٧ب اسطنبول) معادنها، عدنية في منافع سواحلها وفيها آثار عظيمة

---

(١) ابن قاسم المالكي: ابو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي الفقيه المالكي (ت١٩١ هـ /٨٠٦م) من تلاميذ الامام مالك حيث صحبه لمدة عشرين عاما وهو صاحب المدونة وعنها روى سحنون بن سعيد التنوخي، توفي ابن القاسم المالكي بمصر ودفن خارج باب القرافة الصغرى انظر ابن خلكان، المصدر ذاته م٣، ص١٢٩ ١٣٠

(٢) جاءت «بخايص» في نسخة برنستون.

(٣) انظر عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب البكري (ت٤٨٧ هـ /١٠٩٤م)، المسالك والممالك، «جغرافية الاندلس وأوروبا»، تحقيق، عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، ١٩٦٨، ص٧٠.

(٤) جاء عند محقق البكري، عظيم جباياتها، ص٧٠.

لليونانيين[١] (٥ أبر) وهي في آخر الاقليم الرابع الى المغرب انتهى ».
وانما اوردت هذه القصيدة بتامها لأنها ايضا من جملة الأخبار والآثار الموجبة للاعتبار والافتكار والغرض من هذا التأليف ذكر الوقائع الصادرة في البلدان والأمصار، فسبحان الملك القادر مغيّر الدهور والعصور على توالي كل زمان غابر

ولمّا أن لاح صباح تلك الليلة وتنفس، انشرح الصدر وانبعث الى الارتحال الى قرية شعث[٢] فبينما نحن سائرون ولله تعالى شاكرون وعلى جنابه الكريم متوكلون وبنبيّه ﷺ متوسلون، فلاح لنا من بعد عامود واقف في أرض سهلة بالقرب من مكان يقال له الشعرة، فسألت بعض الرفاق عنه واردت الافصاح منه، فقال انه يقال له عامود يعاث[٣] نسبة لقرية الى جانبه حتى انه يقال من قديم الزمان كان برأسه سلسلة مربوطة وممتد آخرها ومربوط برأس عامود في دير بالقرب من بعلبك. اذا جاء وقت الصلوة حرك النصارى السلسلة فيدرون بقية النصارى بدخول الوقت الى انتهاء السلسلة. وتراب هذه الأرض طيّب جدا على

---

(١) من هنا يتوقف النص مرة اخرى في نسخة برنستون.

(٢) شعث: قرية في ناحية بعلبك تذكرها اربعة من دفاتر الطابو على هذا النحو:

	طـ.د ٤٣٠	طـ.د ٣٨٣	طـ.د ٤٠١	طـ.د ٥٤٣
خانه	١٤	٥٢	٢١	٣٣
مجرد	٥	-	٦	١٥
رجل دين	١	-	١	
	ص٥٣	ص٦٢	ص٢١٤	ص٨٨ - ٨٩

(٣) قرية ايعاث في ناحية بعلبك تذكرها دفاتر الطابو على هذا النحو:

	طـ.د ٤٣٠	طـ.د ٣٨٣	طـ.د ٤٠١
خانه	٨١	١٨٠	١١٤
مجرد	٤	٤	٣٩
رجل دين	٢	١	١
	ص٤٧ - ٤٨	ص٧٤ - ٧٧	ص٢٠٣

ما يقال حتى أن الفرنج أرسلوا واخذوا منه وتبركوا به وزرعوا به[١] عندهم. ولما حللنا وفي قرية شعثا نزلنا، قلت عند ذلك:

(الطويل)

وسرنا لشعثا مشمسين نهارنا وبتنا بها في أطيب العيش أرغد
نزلنا لدى شيخ يسمى بيوسف وغاب الى ان اصبح الصبح للغد

وبالجملة والتفصيل منزلتها كانت احسن من بعلبك لحسن المقيل، فإنها[٢] قرية في سفح جبل بالقرب منها عين ماء تجري أحلى من العسل، تنفي عمن يشرب منها الكسل، ونزل بقية الرفاق في (٨أ اسطنبول) الخان ونزلت في بيت الشيخ في مكان ليس فيه انسان، وذلك لعدم الامكان فإنه بعد ان صرت عنده نزيلا[٣] لم ارى له وجها الا عند التحميل. فجاء باعذار جسيمة باردة وخيمة فقلت له جزاك الله عن مغيبك خيرا ولا[٤] اراك مكروها وضيرا، لقد قلدتنا منّة عظيمة بغيابك عنا.

ورحلنا منها قاصدين القرية المعروفة بالهرمل[٥] فمشينا في طريق يقال له الجّر وهو عبارة عن طريق في ذيل جبل على كتف السهل يمشي الركبان طولا مسافة بعيدة ثم يدورون دورة عظيمة ثم يمشون طولا ويدورون اخرى وهلم جرّا وحاصلة أن أنواع الأعرب، اجتمعت فيه مع الشدة والقهر، الرفع والنصب والخفض والجر لكن على يمنه الطريق

---

(١) جاءت في النص: «وزرعوه عندهم».
(٢) جاءت في نسخة اسطنبول «فانه».
(٣) جاءت في الأصل «نزيل»
(٤) يعود النص من جديد في نسخة برنستون.
(٥) الهرمل: المنطقة الجبلية الواقعة الى شمالي بعلبك ومعظم سكانها من الشيعة الاثني عشرية وهي تنسب الى قرية الهرمل راجع انيس فريحة، المرجع ذاته، ص٣٥٧.

في الذهاب مرج أخضر وفي خلاله مياه تجري، وتتحدر ينتعش الفؤاد بمرآة ويتذكر أهاليه ومأواه الى ان جزنا على منبع العاصي الجاري الى مدينة حماه فوقفت مفكرا في[1] عظم صنع الله وقضيت العجب[2] مما شاهدناه، وهو مدرور بمقدار البركة الا انه يفور فورا ورأيت الى جانبه عينا تسمى عين الزرقاء وحولها (٥ ب بر) اشجار صفصاف ومن كل نوع من الازهار على اختلاف. فنحن بهذه النشأة سائر ن وإذا بخيّال مع بغال من بعد تراءته العيون، فقلنا: هؤلاء من طرابلوس قادمون وبهم نستبشر بتحقيق الظنون، فلما وصلوا الينا وسلموا علينا فرأينا الخيّال رجلا من الاصحاب، فتكدر الخاطر بمرآه لما تفوه وأبداه واشمأزت منه الطباع وصدأت لكلامه الأسماع فانه لم يستحسن منا السفر بل نفر وصفر، فقلنا لأرفاقنا ممن حضر لا «هامة ولا عدوة ولا صفر»[3] وبعد ذلك فارقناه وقطعنا المسافة بالتأمل في كلامه ومعناه، فلم نر له قصدا سيئا في هذا الكلام الا تخيّل (٨ ب اسطنبول) الكيف والسلام.

وصعدنا الى عقبة تسمى بعقبة العاصي وكأنها اكتسبت من اسمه العصيان فإنها في غاية المشقة والطغيان وهي أشق من عقبة الرمانة المشهورة بل الشهرة لتلك والمشقة لهذه المذكورة، واستمرينا بين اتهام (٦ أ بر) وانجاد الى ان شاء رب العباد، فوصلنا الى قرية الهرمل والعيون بالدموع مما شاهدنا ورأيناه وسمعناه تهمل، فنزلنا بعد الضيق والحصر بعد دخول وقت العصر واذا بها واد كأنه قطعة من الجنان

---

(١) وردت في نص اسطنبول عظيم.

(٢) مضافة الى هامش نسخة اسطنبول.

(٣) جاء عند الامام مسلم في كتاب السلام قال رسول ﷺ «لا عدوى ولا صفر ولا هامة» م٤ ص١٧٤٢ - ١٧٤٣ وجاء عند الامام مالك في الموطأ في «كتاب العين» «لا عدوى ولا هام ولا صفر» م٢ ص٩٤٦، وجاء عند الامام البخاري في كتاب الطب «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»، م٧، ص١٧٥، وجاء عند الامام الترمذي «لا عدوى ولا صفر» م٣ ص٢٠٠ من كتاب القدر. وجاء في سنن ابي داود في كتاب الطب «لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة»، م٤، ص٢٤ ٢٥.

محتبك بين أشجار وأنهار وترنم طيور على اختلاف الألحان تحار في منظره البديع الأبصار ويوجب التفكر في قدرة الله الملك القهار، والحمائم فيه مغردة والأهوية مع المياه مبردة، ولما سمعت من الحمائم التغريد أنشدت قول الوزير ابو عمر بن عبدالملك بن شهيد[1]:

(الكامل)

وما طربت[2] فوق الغصون حمامة	الا رأيت دموع عيني تسكب
واذا الرياح تناوحت الفيتني بين	الصبابة والأسى اتقلب
يا عاذلي في الحبّ مهلا بالأذى	لو كنت تعشق ما ظللت تؤنب
كم حاولت نفسي السلو فطالبت	أسبابه جهدا فعز المطلب

فنزلنا بجامعها الكبير واذا به عالي المنار به عواميد كبار مقبّى بالاحجار وله شباكان مطلان على الوادي (٦ ب بر).

وتلك المياه والأشجار لا يصلي احد فيه ولا يحوم من اهل القرية شخص حول ناديه، فتأسفت من ذلك واسترجعت على ما هنالك، ثم جاءنا أهل القرية مسلّمين، ولما حلّ بهم من الباشا شاهين[3] شاكين،

(١) ابن شهيد: أحمد بن ابي مروان عبدالملك بن ابي عمر أحمد ذي الوزارتين ابن عبدالملك بن شهيد القرطبي، ولد حوالي سنة ٣٨٢ هـ /٩٩٢م، نظم الشعر في مرحلة مبكرة من عمره، عاصر الفتن والنكبات التي حلت بمدينة قرطبة وعانى الكثير على يد رجال الدولة الحموديّة بالاندلس، تولى الوزارة وكانت وفاته سنة ٤٢٦ هـ/١٠٣٤م، حول حياته انظر شارل بلا، ابن شهيد الاندلسي، حياته واثاره، عمان، ١٩٦٥، ص١٧ – ٨٥. كذلك ديوان ابن شهيد الاندلسي، جمع وتحقيق يعقوب زكي مراجعة محمود مكي، دار الكتاب العربي، القاهرة، لا.ت، ص٨٨.

(٢) في الديوان «ما اطربت»، انظر ديوان ابن شهيد الاندلسي، جمع شارل بلا، دار المكشوف، بيروت، ١٩٦٣، ص٢١.

(٣) الباشا شاهين: يذكر اسطفان الدويهي في اخبار سنة ١٠٤٧ هـ /١٦٣٧م ان برجال أحمد انفصل عن أيالة طرابلس وتولاها شاهين باشا، الذي قام بتصفية آل سيفا في طرابلس وعكار، «وصار التفتيش في القرى والديورة على أرزاقهم... تشتتوا السيفية وبادوا من ايالية طرابلوس»، تاريخ الازمنة تحقيق الاب فرديان توتل اليسوعي، بيروت ١٩٥١، ص٣٣٦ – ٣٣٧، والجدير بالذكر أنه قبل توليه طرابلس كان قد عمل كتخدا في القصر السلطاني واغا للينكرية وكانت وفاته سنة ١٠٥٤ هـ /١٦٤٤م ووصف بالكفاية في الامور الادارية، انظر محمد ثريا، سجل عثماني، تصوير طبعة اسطنبول سنة ١٣١١ في Gregg International, Hants, 1971 م٣، ص١٣٣.

فحصل لنا بسبب ذلك قساوة كليّة وأرجعنا الأمور الى ارادة رب البرية. وأخبرني أهلها ان بها جامعين آخرين أكبر من هذا المذكور وفي طريق المجّر صعود على جبل اشرفنا منه على قلعة حمص (٩ أ اسطنبول) وعلى بحيرتها، ورأيت البركة في غاية الطول ولها بياض يشف من بعد، وأشرفنا على قرى كثيرة شهيرة عند من يعرفها ظهيرة أشهرها قرية اللبوة(١) وقرية الرأس(٢) وليس بينهما بعد بل متقاربتان(٣) الا ان

والجدير بالذكر انه يوجد في مديرية المحفوظات التابعة لرئاسة الوزراء في اسطنبول، دفتر محاسبة يحمل رقم ٧٦٧ ويعود تاريخه الى سنة ١٠٤٨ هـ /١٦٣٨م يتضمن حساب الايرادات والنفقات في عهد شاهين باشا ويقع في ثماني عشرة صفحة، وقد اشار اليه ايضا الاستاذ برنارد لويس في مقالته المعنونة:

«The Ottoman Archives as a source for the history of the Arab Lands», JRAS, (1951), PP. 139-155, P. 152.

اما برجال أحمد فعلى الأرجح هو أحمد باشا بلغار الذي كان واليا على طرابلس الشام وعرف عنه الظلم فعزل وقتل سنة ١٠٤٨ هـ /١٦٣٨م راجع محمد ثريا، المرجع ذاته، م١، ص٢١٣.

(١) قرية اللبوة، كانت في القرن السادس عشر تقع في ناحية بعلبك وكان عدد سكانها كما هو مبين في دفاتر الطابو على النحو التالي:

	ط.د.٤٣٠	ط.د.٤٠١
خانه	٦٧	٨٧
مجرد	١٣	١٠
رحل دين	١	١
	ص٤٢ - ٤٣	ص٢٠٤

(٢) قرية الرأس: كانت ضمن ناحية بعلبك وفي القرن السادس عشر كان سكانها في غالبيتهم المطلقة من النصارى كما هو مبين في دفاتر الطابو حيث جاءت احصاءاتها على هذا النحو:

		ط.د.٤٣٠	ط.د.٣٨٣	ط.د.٤٠١
نصارى	خانة	٦٩	٢٠٠	١٥١
	مجرد	١٣		١٢
مسلمون	خانة		٤	٥
	مجرد			١
		ص٥٩	ص٩٢ - ٩٥	ص١٧٩

(٣) جاءت في الاصل «متقاربنين».

قرية الرأس سكن النصارى.

وبالجملة والتفصيل قرية الهرمل المذكورة نزهة للمتنزه ليس لها نظير في اشجارها ومياهها ولا مشبه، الا ان أهلها كانوا اذ ذاك منهوبين قبل ذلك وحالهم أسود من كل (٧أبر) حالك[١] ولقد قدموا الينا باجمعهم وحملنا مشقة شكايتهم وتوجعهم، الى ان صار وقت السحر، فشددنا العزم للسفر وحصل لنا في هذه المرحلة مشقة عظيمة لا توصف، وما رأينا اشق منها ولا أقرف، فإنها عبارة عن صعود في نحو خمسين جبل وكل صعود يلزم منه الهبوط، حتى أني آيست من الحياة بل صرت في درجة القنوط والنزول في وعر عسير. ووحل كبير، ولقد أشرفت ونحن باحد هذه الجبال على قلعة[٢] الحصن وهي في رأس جبل فسألت ما مقدار ما بيننا وبينها من المسافة فقيل: يومان.

ومن أعجب ما رأيت أن هذه الجبال والأودية والتلال كلها حرش وهيش[٣] وتشتمل على اشجار كثيرة من الشبلوط[٤] واشجار كثيرة من

---

(١) ينقطع هنا نص نسخة برنستون مرة أخرى.

(٢) قلعة الحصن: هي حصن الاكراد مقابل حمص من جهة الغرب أسكن فيه شبل الدولة بن مرداس صاحب حمص سنة ٤٢٢هـ /١٠٣٠م قوما من الاكراد وعرف الحصن تبعا لذلك باسمهم، وكانت الغاية من وراء ذلك محاربة الفرنجة، ولقد ابتاعته الفرنج من هؤلاء الاكراد سنة ٥٠٣هـ /١١٠٩م. وفي زمن ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م) كان بيدهم الى ان استرجعه السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٩هـ /١٢٧٠م. راجع ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٢، ص٢٧٦ وكذلك عز الدين بن شداد (ت٦٨٤هـ /١٢٨٥م) الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، دمشق ١٩٦٢، ص١١٥ ١٢٠، وكذلك انظر احمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، م٤. ص١٤٤

(٣) لا يذكرها لسان العرب بمعنى الاشجار الكثيرة الكثيفة الملتفة الا أن صاحب المنجد يذكرها بهذا المعنى وعلى انها عامية، بيروت ١٩٦٠م، ص٨٨١.

(٤) الشبلوط: يذكر الشيخ عبد الغني النابلسي نوعا من الشجر يعرف باسم الشاهبلوط، وهو القسطل اعذب من البلوط وافضل واقل يبسا وهو لا ينبت في المروج ولا على الماء الا انه من الاشجار الجبلية البرية التي تنبت وحدها وهو يحب الهواء البارد وخصوصا ريح الشمال، وعلى الأرجح ان الشبلوط تحريف لكلمة الشاهبلوط، راجع علم الملاحة في علم الفلاحة، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٣٩ ٤٠، ويذكر الامير مصطفى الشهابي انها تقابل شجرة Chestnut tree معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، (انجليزي. عربي) اعداد احمد شفيق الخطيب، مكتبة لبنان، بيروت، ص٨٥٢، ص٨٦٨.

السنوبر البري واشجار كثيرة لونها كأنه مصبوغ أحمر في غاية الحمرة وعليه حمل كالزعبوب[1] الصعار طري وهو وردي اللون، والورق في غاية الخضرة، ينبيء من شاهده على كمال عظيم القدرة. ومن العجايب ايضا التي شاهدناها وبعين البصيرة رأيناها، ان في سهل الجبل قطعة صخرة كبيرة بها عين ماء نابعة في ذيل تلك الصخرة وماء ينزل في اصل شجرة مدور كالجرن[2] الخشب ملاصق للنبع والجرن ممتلي وفائض الى الأرض فقيل لي انه يقال له: بئر الخشب. ومررنا فيه على واد[3] مهيل يقال له وادي السبع وعلى (٩ ب اسطنبول) كرم ساباط المشهور وبالجملة فأبهة هذه الجبال ومشاهدة بالعيان لأنها معدودة[4] من جبل لبنان الذي يأوي اليه السائحون وتتقصد العبادة به العابدون.

وفي هذه المرحلة مشينا اكثرها وتحملنا ضررها وما وصلنا عكار[5] إلا وكل ما على الأرض لا يستطيع القرار فبعد ان نزلنا في تكيتها وهي تكية لا نظير لها الا أنها خالية من حصر تفرش بها. لها شبابيك من جهة الغرب مشرفة على الوادي ومن جهة الشرق أوض[6] لطيفة ولها بابان احدهما كبير، والآخر صغير، وبها بركة عظيمة الا اني ما رأيت بها ماء. فسألت عنه فقيل لي: من منذ خمس عشرة[7] سنة لم يأتها ماء.

---

(١) الزعب هي الكثرة. ورعبوب هو القصير من الرجال وعلى الارجح استخدمها هنا بمعنى الكثرة والصغر انظر لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٩٥٥، م٢، ص٤٤٨ - ٤٥٠.

(٢) الجرن: الحجر ينحت فيه حفرة يدق فيها اللحم او الملح او الارز الخ... انظر انيس فريحة، معجم الالفاظ العامية. مكتبة لبنان. بيروت، ١٩٧٣م، ص٢٦

(٣) جاءت في الاصل «وادي».

(٤) موجودة على الهامش في نسخة اسطنبول.

(٥) عكار: شكلت نيابة حصن عكار في العهد المملوكي جزءا من نيابة طرابلس وكانت نيابة حصن عكار من امرة عشرة، انظر القلقشندي، صبح، م٤، ص٢٣٥. وشكلت في القرن السادس عشر ناحية في لواء طرابلس الشام عدد سكانها ٩٧٥ خانة ط.د ٣٧٢، ص٣.

(٦) اوض: جمع اوصه (اوطه، اودا، اوده) كلمة تركية تفيد معنى الغرفة انظر J. Redhouse طبعة اسطنبول، ١٩٢١، ص٢٥٥ ٢٥٦

(٧) جاءت في الأصل «خمسة عشر».

والحرم تدخل من بابه على ايوان صغير وعلى شمالك كذلك ايوان ومن جهة الغرب فيه ثلاثة شبابيك مطلة على الوادي، ومن جهة الشرق ثلاثة مطلة على الوادي ومن جهة بحجر ومنبر من رخام، الا ان بعض الدرج صار له ائتلام. وفي اتجاه المحراب سدة عالية والى جانبها من كل جهة سدة أخرى خالية. كان الأمارى السيفيين كانوا يصلون بها وسألت عن تعطيلها فأجابني من سألته: أن الباشا السيفي كان جعل لها وقفا بطرابلوس فضبط بعده للسلطنة وبقيت معطلة فاسترجعت من ذلك حين وقفت على ما هنالك. وكان الحاكم بها رجل يقال له: أحمد بلوكباشي ابن المغربي أرسل يكلفنا عنده للنزول، فما اجبناه الى هذا المسئول،ورأيت بها خمسة موآذن احدها مأذنة التكية المعطلة وجامعين معطلين واثنين فيها يصلون. ولقد صليت العصر في أحدهما وهو الجامع الكبير ويقال انه عمري. ورأيت به شابا على رأسه عمامة هي لطلاب العلم أكبر علامة، فسألت عنه فقيل أنه يقال له ابن الشيخ (١٠ اسطنبول) بدر الدين وهو خطيب الجامع، ولقضاء البلدة جامع، وبها حمامان الا أنهما معطلان وليس بها سوى واحد يدخل اليه ومدار أهل البلدة الآن عليه. ورأيت بيوت بني سيفا، من أذاقهم الله تعالى بعد عزهم ودولتهم انقراضا وذلاً وحيفا، في غاية الاحكام من البناء الا ان الأمير فخر الدين ابن معن حرّق بعضها وأخرب بعضها، وآلت الى الدثور والفناء، فأنشدت عندما رأيت وعاينت قول الأستاذ المقّري من ابيات حضرتني ولها تذكرت، فان بها غاية الاعتبار، فيمن أخلوا المنازل والقصور والديار، ممن كان لهم الدولة والصولة والأشتهار على ممر الدهور والاعصار وهي:[1]

---

(١) انظر نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، م١، ص٧ - ١٢.

(مجزوء الكامل)

سبحـــــان من قسّم الحظو   ظ فـلا عتـاب ولا مـلامـه

أعمــــــى وأعشى ثم ذو   بصر وزرقــاء الـيمامـــه

لولا استقــامــة من هــدا   ه لمـا تبينــت العــلامــه

ومجـــاور الغرر المخيـــف   لـــه البشارة بـــالسلامـــه

وأخو الحجــى مــترقــب في   هــذه الــدنيــا حمامــه[١]

وكما مضى من قبلــــــــه   يمضي ولم يكمـــل مرامـــه[٢]

فليعتـــــــــبر بسواه من   منح اتصافا بـاستقامـه[٣]

ويقـــل بصـــدق اين من   بحيـاتــه صرف اهــتمامــه

أم اين عنـــترة الشجـــاع   وذو الندى[٤] كعب بن مامه

أين القيـــاصر والاكـــاسرة   الأولى الفوا الشهـــامـــه[٥]

أين الملوك[٦] أولو الريـــاسة   والسيـــاسة والصرامـــه

أين العساكر والـــــــدساكر   والنـــدامـــى والمـــدامـــه[٧]

ومـدائن الاسكنـدر الـلاتي   لهـــا أعـــلى دعـــامـــه

بـــل أين اربـــاب العلوم   ذو[٨] التصـــدر والأمـــامـــه

(١٠ ب اسطنبول)

---

(١) رواية البيت في نفح الطيب:

واخو الحجى في سائر الانفاس مرتقب حمامه

(٢) رواية البيت في نفح الطيب:

وكما مضى من قبلـــــــــه   يمضي ولم يقـــــض التزامـــــه

(٣) جاء البيت:

وليعتـــــــــبر بسواه من   لصـــلاحـــه صرف اهـــتمامـــه

(٤) جاءت في النفح ذو الجدى

(٥) جاء البيت:

أين الاكـــــاسر والقيـــــاصر   ة الجلون الفمامـــــــــه

(٦) جاءت في نفح الطيب، «ذوو»

(٧) جاءت في نفح الطيب، «في المدامة».

(٨) جاء في نفح الطيب، «اولو»

وذو الوزارة منهم أهل الكتابة والعلامه[1]
كأئمة حلوا بأندلس فلم يشكوا وخامه[2]
هي جنة الدنيا التي قد اذكرت دار المقامه
بروائها وبهائها وهوائها النافي السآمة[3]
لا سيما الحمرا من غرناطة دار الفخامه[4]
وقصورها الغر التي تهدي لناظرها ابتسامه[5]
ورياضها المهتزة الاعطاف من شدو الحمامه
يا ليت شعري أين أهل الملك فيها والزعامه[6]
اين الوزير ابن الخطيب بها فما احلى كلامه
فلكم أبان العدل في ارجائها وبها اقامه
ولكم أجار من آلزمان وكم أفاض ندى سجامه[7]
راعت صروف الدهر دولته وما راعت ذمامه
حتى ثوى اثر النوى[8] في حفرة نثرت نظامه
من زارها في ارض فاس اذهبت شجوا منامه
اذا ذكرته[9] بكل شمل شتت الموت التئامه

(١) جاء البيت:
وذوو الوزارة والحجابة والكتابة والعلامه
(٢) جاء البيت:
كأئمة سكنوا بأندلس فلم يشكوا سآمه
(٣) جاءت «الوخامة»
(٤) جاء البيت:
لا سيما غرناطة الغراء رائقة الوسامه
(٥) جاء البيت:
وقصورها الزهر التي يأبى بها الحسن انقسامه
(٦) جاء البيت
يا ليت شعري اين من امضى بها الملك احتكامه
(٧) جاء البيت:
ولكم أجار عدا وكم أجرى ندى والى انسجامه
(٨) جاءت «النوى» بمعنى الهلاك.
(٩) جاء اذا نبهته لكل شمل.

واذا اتـــى جيش الحمام فليس يمنع منه لامه
هذا لسان الدين أسكنه الردى وسقاه جامه[1]
ومحا عبارته فمن حيّاه لم يردد سلامه
فكأنه لم يمسك الأقلام أو يسلسل حسامه[2]
وكأنه ما حاز تبجيلا ولم يحسر لثامه
وكأنه لم يرق غارب الاعتزاز ولا سنامه
وكأنه لم يعل متن مطيهم[3] باري النعامه
وكأنه ما نال من ملك حباه ولا احترامه
(١١ أ اسطنبول)
وكأنه لم يبد وجهاً في المحافل ذا وسامه[4]
وكأنه ما جال في أمر ولا نهي وسامه
مذ فارق الدنيا وقوض عن مغانيها[5] خيامه
امسى بقبر مفردا والترب قد جمعت عظامه
من بعد تثنية الوزارة جاده صوب الغمامه
لم يبق الا ذكره كالزهر مفتر الكمامه
والعمر مثل الطيف أو كالضيف ليس له اقامه[6]
والموت حتم ثم بعد الموت أهوال القيامه

---

(١) جاء البيت:
هذا لسان الدين اسكنه واسكنه رجامه

(٢) جاء البيت:
فكأنه ما أمسك القلم المطاع ولا حسامه

(٣) جاءت مطهم

(٤) جاء
وكأنه لم يجل وجها حاز من بشر تمامه

(٥) جاءت «منازلها».

(٦) جاء البيت:
والعمر مثل الضيف أو كالطيف....

والنـــــاس مجزيون عن اعمالهم حــــتى القـــلامـــه[1]
فـــذوو السعـــادة يضحكون غــــيرهم يبكي نـــدامـــه
والله يفعـــل مـــا يريـــد من الاهـــانـــة والكرامـــه[2]
ويخـــص بـــالغفران عبـــدا كـــانـــت الحسنـــى ختـــامـــه[3]

وبالجملة كانت بلدة في غاية الاشتهار بين البلدان تأتي اليها القوافل والركبان وهكذا يفعل الزمان الى انقضاء الدوران، وبالله سبحانه المستعان.

وأما الدخول اليها فإنه في غاية الصعوبة لأنك تستمر في نزول حتى تجزم أنها تحت الأرض تجول، ولا تشرف عليها حتى تصل اليها، فإنها في ذروة جبل قريبة من الوادي ولها بساتين عظيمة، ومياه جارية مع أهوية غير وخيمة وبتنا بها ليلة الى ضحوة النهار وسرنا منها على بركة الله العزيز الغفّار، وشرعنا في نزول أيضا مع غاية العسر حتى وصلنا لنفس الوادي واذا به نهر جاري، وجسر معظم يمر عليه السائر والساري، والى جانبه مكان مبلط على هيئة المصلى لو أقام به عاشق لتسلى. ثم ما برحنا في اتهام وانجاد (١١ باسطنبول) الى ما شاء رب العباد، وأشرفنا من علوة هنالك على قلعة الحصن وعلى القليعات التي عمّر الأمير فخر الدين ابن معن الى جانبها بستانا عظيما يقال انه نصب

---

(١) جاء عند محقق نفح الطيب
والنـــــــاس مجزيون عن أعمال ميـــل واستقـــامـــه

(٢) جاء البيت:
واللـــه يفعـــل فيهم مـــا شاء ذلاً أو كرامـــه

(٣) جاء البيت:
مـــا فـــاز بـــالرضوان عبـــد كـــانـــت الحـــسنـــى ختـــامـــه

فيه اثني عشر ألف شجرة من التوت[1] جعلها صفا مستويا محكما غاية[2] الاحكام عمل من يظن انه لا يموت ولا يذوق طعم الحمام. ثم نزلنا بقرية عرقا[3] في منزول كريم، وقام شيخها بخدمتنا بحسب جهده وطاقته رغبة في ثواب الله الكريم، وحالة نزولنا في القرية المذكورة رأيت رجلا متوجها الى المدينة فكتبت لحضرة الأفندي معه مكتوبا وصدرته بهذه الابيات التي خطرت في الحال على سبيل الارتجال وهي[4]:

(الطويل)

قطعت جبالا مع صخور مصاحبا لوكـف ثلوج مـع بحور من القطر
وفارقت أهلي وهو عندي معظم[5] ولولاك لم أجسر على ذاك في عمري
وكل الذي لاقيت من أجل قربكم مرارته عندي لأحلى من القطر

---

(١) عُني الامير فخر الدين المعني بزراعة اشجار التوت لتربية دودة القز لانتاج الحرير الذي ازداد الطلب عليه في اوروبا خاصة بعد ان اقدم الشاه عباس الكبير (٩٩٦هـ /١٥٨٨م - ١٠٣٨هـ /١٦٢٩م) في مطلع القرن السابع عشر الميلادي على اغلاق طريق الحرير الدولي المار ببلاد فارس الى الموانىء العثمانية، وطوّر ميناء بندر عباس على الخليج لتصدير الحرير الى اوروبا، راجع:
Halil Inalcik, The Ottoman Empire, The Classical Age, Weidenfeld and Nicolson, London, 1973, PP. 42–45.
ويذكر اسطفان الدويهي في اخبار سنة ١٠٣٧هـ /١٦٢٧م عن اهتمام الامير فخر الدين بتعمير طرابلس وبزراعة التوت ما يلي:
«في سنة الف وستماية وسبع وعشرين مسيحية تولى الامير فخر الدين محافظة ايالة طرابلوس، فاجرى ساقية القاع وعمر القلمات في ارض الجون ونصب في مغرانها اربعة عشر الف نصبة توت ونصب بستان آخر اكبر من الاول في ارض الحيصة» تاريخ الأزمنة»، ص٣٢٣. انظر ايضا دراسة، الامير موريس شهاب، دور لبنان في تاريخ الحرير، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٨، ص٣٠ ٣٤

(٢) من هنا يبدأ نص برنستون مرة أخرى.

(٣) عرقة: بلدة في شرقي طرابلس وعلى جبلها قلعة لها، «وشرب اهلها من مياه تأتيهم من نهر يجري ملاصق لها عليه أرجاء، وبها قصب السكر وبناؤها بالجص والتراب» انظر ابن شداد، المصدر ذاته: ص٩٢ - ٩٥
وفي القرن السادس عشر شكلت عرقة ناحية في لواء طرابلس وكان سكانه ١١٤٦ خانه طـ.د ٣٧٢، ص٣.

(٤) وردت في نسخة برنستون (وهم).

(٥) وردت في نص نسخة برنستون (محرم) ووردت على الهامش ايضا في نفس النسخة (معظم).

وسرنا منها وقت السحر مستبشرين بالقاء وعثاء السفر وحصول المقاصد مع بلوغ الوطر. وقال لسان الحال: لك البشرى فقد بلغت المآرب وحصلت على ما انت له قاصد وطالب، فلما وصلنا الى مكان يقال له نهر البارد[1]، فإذا به مكان يشرح الصدر ويجلب الفرح المتزايد، وهو نهر جاري وسط مرج عريض أخضر بماء (٧ب بر) بارد كالزلال يتحدر، ولجانبه بقايا خان جار عليهم الزمان وبه خان[2] فنزلت دون الأحمال لصلاة الفجر واغتنمت الفلاح والخير والأجر، ثم سرنا والى بركة البداوي وصلنا وهي بركة من عين ماء نابعة مملوءة من الاسماك التي على طول الزمان متناسلة متتابعة الا انها مانعة[3] للاصطياد (١٢أ اسطنبول) منها لأنه قد جرب ان من اصطاد منها ولو سمكة وقع في مرض الحمى وصار في هلكة. والى جانبها قبة عظيمة بها مزار الشيخ البداوي[4] المنسوبة اليه وهو من الأولياء المعوّل في الكرامات عليه، فدخلتها وصليت بها ما تيسر ورأيت ضريح الشيخ في شق الحايط وهو ضريح مهاب منور، ثم قرأت عنده الفاتحة وجعلتها لحصول الخيرات فاتحة. واذا بولد حضرة الأفندي محمد آغا مع جماعته قادمون وعلينا مسلمون، فتسالمنا وسرنا وحصل للنفس البشرى (٨أ بر) بمن قابلنا ودخلنا المدينة ضحوة نهار الاثنين سابع شهر شعبان المكرم.

ولما دخلنا على حضرة المولى الأعظم والملاذ الأكرم المنوه بذكره الشريف في هذا الرقم قام واستقبلنا وظهر من جنابه الشريف غاية

---

(١) نهر البارد: كان يدعى قديما بنهر برونس. ينبع من جبال عكار ويجتاز سهل عكار حيث يصب على بعد ١٣ كم الى شمالي طرابلس، انظر لبنان مباحث علمية واجتماعية، نشر ١٩١٨ باشراف اسماعيل حقي بك متصرف جبل لبنان. اعاد تحقيقه في مجلدين، الدكتور فؤاد افرام البستاني، بيروت، ١٩٦٩، م١، ص٢٧

(٢) جاءت في نسخة اسطنبول «وله خان».

(٣) جاءت في نسخة اسطنبول «مانعة من الاصطياد».

(٤) الشيخ البداوي: لم اعثر له على ترجمة في المصادر المتوفرة لدي.

السرور بمقدمنا ورأيناه حفظه الله قد هيأ لنا للنزول قصرا غاليا مشرفا مشرقا باهيا وهو داخل المحل الذي هو به قاطن، الجمع على أنه أحسن المنازل بالبلدة والمساكن، وقد قلت في هذا القصر أبياتا وكتبتها على طرازه ولعمري أنه جدير بكل مدحة في حقيقة الامر لا مجازه وهي قولي:

(الخفيف)

ايها القصر لا برحت معلا مشرقا مشرفا بغير قصور
كل شيء من المحاسن يروي حسن مرآك حتى بموج البحور
ان من قد رقى لأوجك يوما قال هذا فداه كل القصور
تحتك الروض زاهر وأنيق فيه أجرى مياه كل النهور
وبه التل قد غدا باحمرار صبغة الله فوق مرج خضير

(٨ ب بر)

ان مولى الورى مراد المفدى صاحب الفضل والثنا العطير
من به شرفت طرابلس الشام على غيرها بغير نكير[1]
دفتري غدا بها فزهت ونمى الخير في رباها المطير

(١٢ ب اسطنبول)

جئته قاصدا فحيّا نزولي وبذا القصر خصني المعمور
مرّ لي فيه اوقات انس وهنا ونشأة وسرور
لم يشنها ولم يكدر صفاى غير فقدي لألفتي وعشيري
فعسى من قضى بذاك يجمع شملي مثل ما كان مبدرا ومنيري
قال هذا نجل المحاسن يحيى راجي العفو من الـه غفور
عام الف واربعين تلت لثمان فكن لنظمي عذيري

---

(١) جاءت في نسخة برنستون «بكير» وفي نسخة اسطنبول بدون تنقيط.

ثم انه حفظه الله تعالى بعد ان أنزلنا عنده أكرمنا بما لا مزيد بعده أبقى الله تعالى وجوده وضاعف عليه انعامه وجوده، اذ كان هو الباعث الأعظم على مسيرنا الى هنالك ورحيلنا الى تلك الشعب والمسالك فقطعناها والشوق اليه يهزنا والتوق الى جنابه الكريم يحثنا فلم ندر من المحبة ما قطعنا ولم نشك الا من بُعد المسافة حتى اجتمعنا (٩ أ بر).

ثم أنه[١] قدم علينا للسلام افتخار الأماجد الكرام، صاحب الهمة العلية والاخلاق الحسنة المرضيّة محمد أغا المتسلم يومئذ والحافظ للبلدة من قبل شاهين باشا، بلغه الله تعالى من الخيرات ما شاء، فإنه أعزه الله تعالى حيّانا بالسلام وقابلنا بالاجلال والاكرام وهو بحسب الظاهر له وجه ذو بشاشة من حسن تواضع وهشاشة. وقد كثر بيننا وبينه الأجتماع وتشنفت بحلاوة لسانه الأسماع.

ثم تشرفنا بقاضي البلدة مفخر الموالي العظام والافاضل الفخام عبد الكريم افندي الكنغري[٢] من قصبة بالقرب من انكورية[٣] فقابلنا بالاجلال والتكريم، والمعزة والتعظيم. أخبرني أنه كان قاضيا بمدينة قاسارية[٤] وهي من قضاة القصبات فحصلت له عناية ربانية، فعرج به من ذلك الطريق الى طريق المولوية وأثر العرج به (١٣ أ اسطنبول) بيّن ظاهر، وهو في الجملة والتفصيل مظهر من المظاهر قد فاق على الاوائل والأواخر، كبير في السن، بحب الدنيا الدنية ممتحن، تمر به غالب الأوقات وهو في الامراض، وليس له عن محنته اغضاء ولا اعراض، له

---

(١) من هنا يتوقف نص نسخة برنستون مرة أخرى.

(٢) عبد الكريم الكنغري لم اعثر له على ترجمة.

(٣) انكورية: المقصود بها أنقرة التي كانت عاصمة لسنحق في ايالة الأناضول، حول تاريخ هذه المدينة راجع:

F. Taeschner, «Ankara», E. I. 2, Vol. i, PP. 509-511.

(٤) قاسارية: هي قيصارية وعن تاريخها راجع مقالة

Besim Darkot, «Kayseri» A. I. Vol. vi, PP. 484-91.

نوع فضيلة واثار كتب كتبها بخطه جميله. أخبرني انه كتب نحو تسعين كتابا منها اثنتا عشرة نسخة من الدرر[1] والغرر والهداية[2] ولقد رأيت الهداية في جزئين بخطه، مصححة بحسب تصحيحه وضبطه، وله تواضع كثير للغني والفقير حصل لنا منه غاية الجابرة مع مزيد التأهيل والترحيب، وكان كثير الاعتذار عن اسدائه الجميل للضيوف والخطّار والقادم والغريب.

وأما زمرة العلماء وعصابة المدرسين والفضلاء فمنهم الشيخ العلامة والكامل الفهامة عمدة العلماء والمدرسين وقدوة الفقهاء والمحدثين المختص بمزيد لطف الله الخفي مولانا الشيخ عبدالكريم ابن الشيخ[3] مصطفى الشافعي الحموي حرس الله تعالى ذاته من كل حاسد دني. هو شيخ عليه أبهة العلم لائحة وامارات الدين والتقوى في وجهه ظاهرة وواضحة. اخبرني أن مسقط رأسه ومشتعل نبراسه بمدينة حماه. وان اول اشتغاله بالعلوم في ابتداه على شيخ الاسلام والمسلمين ووارث علوم سيد[4] المرسلين مولانا الشيخ نجم الدين[5] الحجازي الحموي رحم الله تعالى روحه ونوّر ضريحه، ثم بعد ذلك ذهب الى القاهرة واجتهد في تحصيل العلوم الباهرة، ثم قدم منها الى مدينة طرابلوس وكانت اذ ذاك عامرة والخيرات بها غامرة، أهلها من كل نوع كاملون ومن طوارق الحدثان

---

(١) الدرر والغرر: انظر ادناه هامش رقم ١ ص٤٨ وجاءت في الأصل «اثني عشر».

(٢) الهداية: يذكر حاجي خليفة اكثر من كتاب بعنوان الهداية، انظر كشف الظنون، م٢، ص٢٠٣١ - ٢٠٣٢

(٣) اجتمع به العطيفي سنة ١٠٤٣هـ /١٦٣٤م. فيقول عنه: «ومن اجتمعت به الشيخ عبدالكريم الحموي مفتي الشافعية عالم عامل وفاضل كامل سافر الى مصر واشتغل بالجامع الأزهر حتى تكمّل، زرته في زاوية له مطلة على النهر المار بالمدينة من الطرف الشرقي فرأيت مجلسه مهابا محفوفا بالعلماء والافاضل والادباء يستغرق كل اوقاته بالعلم والعبادة والافتاء والافادة مع الكرم الزايد والتواضع المتزايد...» المصدر ذاته، ص٢١٩ وص١٧ من ضمن كتاب رحلتان الى لبنان.

(٤) من هنا يبدأ نص برنستون مرة اخرى.

(٥) نجم الدين الحجازي. لم اعثر له على ترجمة.

امنون، فاتخذ بها دارا وجعلها له موطنا وقرارا، وله في لصيق داره بالقرب من زاوية بجواره في محلة قريبة من الجسر التحتاني خلوة مطلة على النهر تجعل (١٣ب اسطنبول)(ا) لنزهة[1] التي بها كل غريب بعد قصوّة داني. وقد اتفق انه يوما من الايام اخبرني في معرض الكلام انه ذكر بالأوصاف الحسنة في مجلس بعض الأكابر المستحسنة، فقال رجل كبير كان في المجلس حاضرا وسمير: الشيخ المذكور بكل وصف وجميل حرى الا انه حموي قاصدا بذلك استحقارا لمدينة حماه، صانها الله تعالى من طاعن يطعنها (٢٣ب بر) واخزاه فما تم منه هذا الكلام الا وكتبت له في الحال منتصرا لحماة بهذا النظام وهو

(الخفيف)

قل لمن قد غدا يعيب حماة	معدن الفضل والتقى والديانه
لست اهلا فدع مقالة فحش	فهو اولى اذا أردت الصيانه
ان شيخ الشيوخ علوان[2] فيها	واحد الكون لا يحرك لسانه
وبعبد الكريم شيخ البرايا مفرد	العصر لا يرى من شأنه
أوحد الدهر والامام المفدى	كل من قد يراه يعظم شأنه
قد حباه الهه حسن خلق	وبحسن الخلق ربنا قد زانه
ونحا نحو طرابلس الشام	فعادت مقره وجنانه
دام يرقى كل آن ويبقى مدة	الدهر مغبطا في امانه

---

(١) كذا جاءت بالنسختين وقمنا باضافة الألف.

(٢) الشيخ علوان: علي بن عطية بن علوان الحموي الشافعي الصوفي الشاذلي من اقطاب الصوفية بحماة له عدد من المؤلفات، توفي سنة ٩٣٦ هـ /١٥٢٩ م، لمزيد من التفاصيل حول حياته ونشاطه في حركة التصوف في حماه راجع رضي الدين محمد بن ابراهيم بن يوسف الحنبلي (ت٩٧١هـ /١٥٦٣م) در الحبب في تاريخ اعيان حلب، ٢ م تحقيق محمود الفاخوري ويحيي عبّاره، دمشق، ١٩٧٣ م، م١، ج١، ص٩٦١ ٩٧٨ كذلك راجع نجم الدين الغزي، (ت١٠٦١ هـ /١٦٥٠م) الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة، ٣ م، تحقيق جبرائيل جبور، المطبعة الامريكانية، بيروت، ١٩٤٥ - ١٩٥٩، م٢، ص٢٠٦ ٢١٣. ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، م٨، ص٢١٧ - ٢١٨.

فحصل منه بذلك غاية القبول ودعا لنا بحصول المطلوب والمأمول وبالجملة هو الآن صدر صدورها وبدر نجومها متقيد بخدمة فتوى (٢٤أبر) الشافعية مع ملازمة التدريس بكرة وعشية، حصل لنا منه الاجلال والاكرام واللطف المقرون الانعام ومازجته امتزاج الراح بالماء القراح، وكنت لا انفك معه في الغدو والرواح، ولا زلت مدة اقامتي بتلك الاماكن المحروسة أنعش الفؤاد بجعل غذاء الروح مجالسته المأنوسة، وأعد مفارقته بعد ذلك كمفارقة الأهالي وما شاكل ذلك فلا عدمنا لطفه الشامل ولا (١٤أاسطنبول) فضله الكامل.

ومنهم نقيب الأشراف وخلاصة عبدمناف السيد التقي الطاهر النقي مولانا السيد حسن ابن السيد يحيى الطرابلوسي[1] شريف اجتهد وذاب وجمع بين الشرفين: شرف العلم وشرف النسب وهو حنفي المذهب، طراز فضله مذهب، وله دين متين وصلابة قوته في الدين، استأنسنا بمجالسته وانتشينا بمذكراته وله نظم رائق وشعر فائق فمن ذلك ما كتب (١٤ب بر) للفقير. قوله في غير تقصير.

(الخفيف)

ايها العالم النبيه ومن حاز	فخرا وسؤددا وصيانه
طبت نفسا ولا برحت سعيدا	زادك الله رفعة ومكانه
ليت شعري هل في البلاد جميعا	بلدة جمع الله فيها حسانه
كدمشق وانت شاهد حسن	مرتدي المجد والتقى والديانه
المحاسن تلوح منك وتبدو	وبها قد عرفت في كل انه

(١) ذكر المطيفي انه كان من ضمن العلماء والاعيان الذين قابلهم بطرابلس فيصفه بقوله: «ومنهم السيد حسين نقيب السادة الاشراف صاحب الفضائل والكمالات ورب المحاسن والالطاف شريف ظريف وعفيف نظيف، مهاب مع التواضع والأيناس محبب الى القلوب مع بعده عن الناس كنت ازوره كثيرا فأرى من حسن اخلاقه ورقة طبعه وسماحة نفسه ما يدهش العقول...» المصدر ذاته، ص٢١٩، ص١٨ من رحلتان. انظر ايضا مقدمة هذه الدراسة ص ١٧

كل من رام فضل ذاتك يحيى قد غدا للعدا[1] يتيح جنانه
فاستر استر مولاي ان حسيبا لا يجاري بشعره حسّانه
لا تؤاخذ عبيدك القن بالزحف من الشعر فقد نسي اوزانه
اشكو دهري اليك اذ قد عصاني وقلاني وحط قدري وشأنه
وسلاني وما تعمدت ذنبا لا وعينيك ما سلكت الخيانه
هكذا فعله فصبرا على ذا لا أبالي لو مد نحوي سنانه
فخلاصي منه بسيف مراد فعليه عني يدير عنانه
دفتري غدا بسيرة عدل عالي القدر لا يرى من هانه
نجدة نجدة لقلب كسير وهجير مكابد احزانه
وارحم ارحم محبكم يا اماني واعنه فلا عدمت الأعانه
(١٥ أ بر)
وابق واسلم ممتعا بالتهاني ولك الضد لم يزل في اهانه
(١٤ ب اسطنبول)
مع بقا مصطفى واحمد صنوى لمحمد في صفا وامانه

واتفق اننا كنا يوما مع مولانا الشيخ عبدالكريم ولم يكن المذكور حاضرا في ذلك السير الوسيم فكتبت في ذلك المجلس:

ان ذا المجلس فيه نزهة من غير شين
قد حوى لطف نسيم مع نهر مدّ عيني
تم فيه الحظ الا فقدنا السيد حسين

فلما بلغه ذلك كتب الى الفقير بقوله وأرسلها اليّ هنالك:

يا اماما هو عندي مثل نور المقلتين
ان يوما لا اراكم فيه ذاك اليوم بيني

---

(١) جاءت « للفدا » في كلا النسختين.

لا فقـدتم في البرايـا لا ولا شنـت بشين
زادك الله سرورا سر قلـبي سـع عيني
وعطيـت الحـظ دومـا بـامـام القبلتـين
وبقيتم في صفـاء بـدوام الفرقـدين
فحسين مـدح يحيـى فيـه غنـى بـالحسيني

وأرسل الى كتبا للمطالعة منها حاشية الواني[1] على الدرر والغرر فكتبت له على ظهرها هذه الابيات وكنت على جناح السفر

(مجزوء الكامل)

طـالعتـه فوجـدتـه عقـدا تنظم من درر
ورأيـت من الفـه حشي وامعن في النظر
وأتـى بـابحـاث غـدت بوجوه دقّتهـا غرر
فـالله يرحمه عـلى طول الزمـان المغتـبر
ويـديم مـالكـه الحسيني الشريـف المعتـبر
هو سيـد الاشراف من اضحـى نقيـا ذا خطر
(١٥ أ اسطنبول)
اضحـت طرابلس بـه تزهو عـلى من قـد فخر
وابن المحـاسن قـالـه يحيـى الضعيـف المحتقر
يرجو الـدعـا منـه لـه في كـل وقـت ان خطر

---

(١) هو محمد بن مصطفى الكوراني الرومي الحنفي الواني الشهير بوانقولي (ت ١٠٠٠ هـ /١٥٩٢م)، فقيه أصولي فرضي، تولى قضاء المدينة المنورة حيث توفي فيها، من تصانيفه: حاشية على الدرر والغرر لمنلا خسرو (ت ٨٨٥ هـ /١٤٨٠) وهي في الاصول، انظر مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلبي وحاجي خليفة (ت ١٠٦٨ هـ /١٦٥٧م)، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ٢ م، تحقيق محمد شرف الدين يالتقايا والمعلم رفعت بيلكه الكليسي مطبعة المعارف، اسطنبول، ١٩٤٣، م٢ ص١١٩٩، انظر ايضا اسماعيل باشا البغدادي، (ت ١٣٣٩ هـ /١٩٢٠م)، هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين ٢ م، مطبعة المعارف، اسطنبول ١٩٥٥، م٢، ص٢٦٠، انظر ايضا عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: م١٢ ص٣٣.

في الالـــف ثم الاربعـــين مـــع الـــثمانيـــة الاخر
واسلم ودم في غبطـــــة دوم العشي مـــــع البكر
مـــا غردت في أيكـــة قمريـــة فوق الشجر[1]
كثّر الله تعالى من امثالـه وزاده من انعامسه وافضاله.

ومنهم الشاب الصالح والفاضل الفالح مولانا الشيخ محمد ابن الشيخ محمود ابن عبد الحق الخلوتي[2] هو شاب نشأ في طاعة الله ملازم[3] على عبادة مولاه. له فضل مشهور وورع معروف غير منكور قليل التردد الى الحكام قانع بما قسم له بين الانام، اخذ الطريقة عن رجل يقال له الشيخ ذكرى من قرية يقال لها فنيدق[4] من قرى عكار وله في تلك البلاد جملة من المريدين مع مزيد الاشتهار، ويقصدونه الناس من غالب البلدان والأمصار لأنه من الصلحاء الخيّرين[5] المتبعين سنن سيد المرسلين، اسأل الله تعالى الاجتماع به والنفع بسببه. والشيخ محمد صاحب هذه الترجمة له ايضا خلوة كعادة الطائفة[6] الخلوتية والله تعالى اعلم بصدق النية. وهو امام جامع العطار[7] مع[8] الخطابة وخلوة بالجامع

---

(١) جاءت هذه الابيات في نسخة برنستون على حاشية ورقة ١٥ ب بر.

(٢) لم اعثر له على ترجمة.

(٣) في نسخة اسطنبول «لازم».

(٤) فنيدق: يذكرها انيس فريحة على انها من قرى عكار وان اصل التسمية اغريقي بمعنى النزل، انظر أنيس فريحة: اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، ص٢٥٦

(٥) جاءت في نسخة اسطنبول «الخيريين».

(٦) حول نشأة الطريقة الخلوتية الصوفية وعن فروعها وانتشارها راجع مقالة:
F. De Jong «Khalwatiyya» E. I. 2, Vol. iv, PP. 991-3.

(٧) جامع العطار أسسه بدر الدين بن العطار، أحد عطّاري طرابلس سنة ٧٥١ هـ /١٣٥٠ م، كانت تقام فيه الدروس، وهو يقع على الضفة اليسرى لنهر ابي علي في شارع سوق الصاغة، زاره ووصفه الشيخ عبد الغني النابلسي فقال عنه: «جامع العطار قيل ان اصله كنيسة وقد عمره رجل كان عطارا... وفي هذا الجامع اربع صفف كل صفة لها مدرس له معلوم يتناوله من وقف الجامع المذكور»، انظر: التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية. تحقيق هريبرت بوسه: بيروت، ١٩٧١، ص٧٢ - ٧٣، كذلك السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي، الاسكندرية، ١٩٦٧، ص٤١٣ - ٤١٥

(٨) مع ساقطة في نسخة اسطنبول حيث جاءت «والخطابة»

اتخذها للعبادة (١٦أبر). ولقد اجتمعت معه فيها فاستأنس بنا غاية الاستيناس واعتذر عن كثرة الاجتماع بنا[١] باعذار تنفي عنه الكبر، بلا شك ولا التباس، وقرأ لنا الفاتحة ودعا لنا بدعوات صالحة نسأل الله تعالى[٢] ان تكون نافعة ناجحة، وقد جعل خلوة ونحن هناك بجامع طينال[٣] مع كثير من (١٥ب اسطنبول) المريدين ثلاثة ايام مع ثلاث ليال وذهبت الى ذلك المحل فدخلت الجامع واذا به لكل المريدين جامع، وله في الداخل مكان محجوب به عن الناس له نشأة بذكره فيه مع كمال الاستيناس، فتراثيته من حيث لا يراني والمكان معتم بحيث لا يرى احد احدا وان كان قريبا دانيا[٤] فكأنّ بعض مريديه دخل اليه ودلّه عليّ فأرسل اليّ فدخلت عنده وحصل بيني وبينه مصاحبة مأنوسة تورث النشأة واللذة، وكلفنا المكث الى العشاء فطلبنا الاجازة ودعا لنا بدعوات هي للروح غذاء، وبالجملة فهو قائم بحسب جهده بعبادة الله ليس بالغافل عن ما يراد منه ولا باللاه وعلى الله سبحانه وتعالى (١٦ببر) القبول منه واليه العروج والوصول.

---

(١) زائدة في نسخة اسطنبول.

(٢) ساقطة في نسخة اسطنبول.

(٣) جامع طينال: نسبة الى الامير سيف الدين طينال عبدالله الناصري (ت٧٤٣هـ /١٣٤٢م) احد مقدمي الالوف كان من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، عمل نائبا لغزة ونائبا لصفد ثم نائبا لطرابلس، شيّد هذا المسجد على اثار كنيسة خارج مدينة طرابلس الشام، وذلك عام ٧٣٦هـ /١٣٣٥م، وجاء على نقش مثبت على باب هذا المسجد ما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم، امر بانشاء هذا الجامع المبارك المقر الاشرفي العالي المولوي الاميري الناصري نائب السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة اتماما في ايام الملك الناصر في شهر رجب سنة ست وثلاثين وسبعماية وهناك نقش اخر يحدد الاوقاف المحبسة على هذا المسجد الجامع، حول هذا المسجد راجع محمد كرد علي، خطط الشام، ٦م، بيروت، ١٩٧١، م٦، ص٥٣، السيد عبدالعزيز سالم، المرجع ذاته، ص٤٠٩، وكذلك نص الوقفية ص٤٧٥، ولقد زار الشيخ عبدالغني النابلسي هذا المسجد ووصفه بقوله «وهو جامع لطيف نيّر واقع خارج البلدة قريب من الجبانة واسلوبه عجيب وتكوينه غريب»، التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، ص٧٢، انظر ايضا ابا المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ /١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة، في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٩، م١٠، ص١٠٣

(٤) جاءت في الأصل «داني».

ومنهم فخر فضلائها وخلاصة أكابرها واصلائها محمد افندي[١] ابن عبد الله افندي ابن الشيخ ابراهيم الشهير بالظني نسبة الى قرية من نواحي الظنّية[٢]، من أعمال طرابلس المحمية، كان والده هبة الله منسوبا للفضائل ومعدودا من الأماثل يتولى بعض الاوقات في المحكمة النيابة، وفي الجامع الكبير له نصف الخطابة، ثم نشأ ولده حاذيا[٣] حذوه في الخطابة والنيابة، لم نجتمع معه بالنسبة الى فضلاء البلدة الا قليلا وكان كثير الاعتذار في كونه لم يسد الينا جميلا، وسبب ذلك انه حصل له ما جريّة في زمن انسي[٤] افندي لما كان قاضيا بتلك البلدة وكان اذ ذاك نائبه فحصلت له معه نائبة، فمنها لزم داره وألف اقتصاره وقلل اكثاره واتصف بهذا زمان البيوت والقنع بالقوت، وفي نفس الامر العزلة سلامة، والمخالطة ولا سيما اذا كانت بالغرور توجب الندامة.

ومنهم (١٧ أ بر) الشيخ الفاضل واللوذعي الكامل مولانا الشيخ محمد ابن عبد المولى السيري[٥] نسبة الى قرية (١٦ أ اسطنبول) يقال لها سير[٦]

---

(١) أفندي، لقب تفخيمي عثماني استخدم ليطلق على ابناء الاسرة العثمانية الحاكمة وعلى رجال القلم والعلماء وفي حالات قليلة كان يستخدم مع لقب اغا (اغا - افندي) وكان من ارفع الالقاب في الدولة العثمانية ثم اصبح يطلق على افراد العامة، انظر
Sir Hamilton Gibb and Harold Bowen, Islamic Society and the West, Vol I, Part I, P. 120, Redhouse, Ibid, P. 160.

(٢) الظنية، كانت في العهد المملوكي عملا يقع «بين مصياف وفامية» يؤلف احد اعمال نيابة طرابلس وتكتب هذه الأيام بالضاد، وفي القرن السادس عشر شكلت ناحية من لواء طرابلس وكان عدد سكانها ٦٨٦ خانة، طـ.د ٣٧٢ ص٣. وفي مطلع هذا القرن كانت تشكل ناحية من اعمال متصرفية طرابلس، اما هذه الايام فهي جزء من محافظة الشمال (طرابلس)، انظر احمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى، م٤، ص١٤٨، وكذلك انظر لبنان مباحث علمية واجتماعية، م١، ص٥٠.

(٣) جاءت «حاديا حدوه» في كلا النسختين.

(٤) انسي افندي: لم اعثر له على ترجمة.

(٥) لم اعثر له على ترجمة.

(٦) قرية سير: حول معنى الاسم راجع أنيس فريحه، المرجع ذاته، ص١٨١.

بالقرب من ناحية الظنية. رجل له فضيلة في فقه الشافعية ومعرفة في الحساب والفلك مرضية كان بيننا وبينه معرفة من الشام سابقة وتأكدت في هذه اللاحقة، استأنسنا به غالب الأوقات وكنا لا نخلو معه من بعض المذكرات.

ومنهم الشاب الفاضل سليل الأماجد والأصايل مولانا الشيخ عبدالقادر ابن الشيخ عبدالحي الشهير بابن الجاموس[١]، هو حنفي المذهب وله سلوك حسن[٢] مع كمال وأدب، مقره بالبرطاسية[٣] وبها أقام اذ هو الخطيب بها الامام ولديها حجرتان على النهر مطلتان، احداهما عليا والاخرى سفلى يشرحان الصدور ويجلبان المسرة والحبور. واما والده الشيخ الأجل صاحب القدر والمحل اينما جلس أو حلّ لا تمل النفس من مجالسته ولا تضيق من مؤانسته ومصاحبته لأنها توجب الانس والفرح وتذهب الهم والغم والترح.

ومنهم (١٧ب بر) الشاب الظريف صاحب الطبع اللطيف صنع الله جلبي[٤] ابن الشيخ العلامة الشيخ ابراهيم من بني الجاموس ايضا شهرته واليهم عزوه ونسبته، وهو ذو هيئة حسنة وعبارات تشبه التركية مستحسنة يخطب بجامع التوبة ولا يتلبس بها كأنه استغني عنها بكونه

---

(١) لم اقف له على ترجمة.

(٢) «حسن» ساقطة في نسخة اسطنبول.

(٣) البرطاسية: «تقع على الضفة اليسرى من نهر ابي علي بالقرب من الجسر العتيق» نقش على بابها: «بسم الله الرحمن الرحيم أوقف هذه المدرسة المباركة العبد الفقير الى الله تعالى عيسى بن عمر البرطاسي عفا الله عنه على المشتغلين بالعلم الشريف على مذهب الامام الشافعي واقامة الجمع والصلوت المكتوبة وشرط ان لا يرسم فيها على أحد ولا يسكنه من لا له الحق في ذلك ولا تذكر المصادر تاريخ انشائها الا انه يبدو من طراز البناء انها من اواخر العهد المملوكي البحري، انظر بـ:
Van Berchem, Max et Sobernheim, M., Syrie-Nord, Tripoli, (Le Caire, 1909), P. 138.
راجع ايضا: سيد عبدالعزيز سالم: المرجع ذاته، ص٤٢٥ - ٤٢٩، وكذلك محمد كرد علي، المرجع ذاته، م٦، ص٥٤، ذكرها النابلسي في رحلته، المصدر ذاته، ص٧٢.

(٤) لم اعثر له على ترجمة.

خطيب جامعها وقنع بالانتساب اليها عند سامعها وهو من جلة كتاب الحكمة اذ ذاك والمعروف بذلك هناك.

ومنهم نخبة الفضلاء وعمدة النبلاء من تبع حرفة العلماء واقتضى الشيخ مصطفى ابن عبدالحي الشافعي الخطيب الثاني بالجامع الكبير ذا[1] اللطف الغزير، له أنس لطيف وشكل ظريف قد اشتغل على مولانا الشيخ عبدالكريم المتقدم ذكره في هذا الرقيم. كان في غالب الأوقات يؤانسنا ويجتمع بنا ويألفنا واجتمعت به يوما من الأيام في المولوية (١٦ ب اسطنبول) فرأيت معه شرح حكم ابن عطاالله[2] لابن زرّوق المغربي[3] صاحب الفضائل العلية فأخذته وتصفحته وكتبت على ظهره (١٨ أبر) بعدما لغالبه طالعته بيتين خطرا في الحال على سبيل الارتجال وهما:

(الطويل)

اذارمت تنويرالفؤاد منالظلم تطلب عطاالله وانظر له الحكم
ودع عنك تدبير الأمور مسلما لخالقك المنشيء وجودك من عدم

---

(١) جاءت في الأصل «ذو».

(٢) ابن عطاالله: أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن عطاالله الاسكندري الجذامي الشاذلي المالكي، صوفي، محدث، قام على ابن تيمية، له عدد من المؤلفات من بينها الحكم، توفي بالقاهرة ٧٠٩هـ /١٣٠٩م، لمزيد من التفاصيل حول حياته انظر أحمد بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ /١٤٤٨م) الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ٥م تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة، ١٩٦٦، م١، ص٢٩١ ٢٩٣ كذلك انظر عبدالحي بن العماد الحنبلي، (ت١٠٨٩هـ /١٦٧٨م) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ٨م، دار الافاق الجديدة بيروت، لا ت، م٦، ص١٩ ٢٠ عمر كحالة. معجم المؤلفين، م٢، ص١٢١

(٣) يذكر حاجي خليفة من الشروح على الحكم العطائية: شرح شهاب الدين أحمد بن محمد البرنسي المعروف بزروق وهو الامام العارف المحدث الرحال الصوفي... دفين مسراته ولد سنة ٨٤٦هـ /١٤٤٢م أخذ عن السخاوي، له فهرسة، توفي سنة ٨٩٩هـ /١٤٩٣م. انظر كشف الظنون، م١، ص٦٧٥. انظر ايضا عبدالحي الكتاني. فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ٢م، المطبعة الجديدة، فاس سنة ١٣٤٦هـ /١٣٤٧هـ، ص٣٤١ ٣٤٢، راجع ايضا عبدالسلام بن عبدالقادر بن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى. ٢م، دار الكتاب، الدار البيضاء. الطبعة الثانية، ١٩٦٠، م١، ص٢٦٢، م٢، ص٣١١.

واتفق اننا كنّا يوما في مكان بالقرب من المولوية على سبيل التنزه في بقعة نضرة مرضية، واذا بالشيخ المذكور جاءنا عازما لنا لأنه هو وبعض من الفضلاء في سير بالقرب من محل جلوسنا، فاعتذرنا له بابيات كتبتها في الحال على سبيل الارتجال وهي:

(البسيط)

بالله يا مصطفى الاخوان قاطبة	انت الذي برداء الفضل مسدول
سامح محبك مما أنت طالبه	وقل لأصحابنا ان ينفع القيل
بالله يا فضلاء العصر معذرة	من مخلص بفراق الأهل مشغول
فلا تلوموا اذا ما جاء ساحتكم	فالصفح مطلوبه والعفو مأمول
ان الحجاب له قد صار حاجبه	والعذر عند كرام الناس مقبول
لا زلتم في هنـــاء ثم في دعـــة	اذ عندكم لغريب الدار تأهيل

وأما بقية الخطباء فكلهم له حسن خطابة لها نباء (١٨ ب بر) اجتمعنا بهم جميعا وكل منهم أبدى لنا محبة زائدة ومجابرة وخضوعا جزاهم الله تعالى الخيرات وضاعف لديهم المسرات، لا سيما الشيخ الصالح العامل الفالح الشيخ أحمد[١] المشهور بابن المالكي، هو أحد خطباء طينال له عقل وأدب وأصل أصيل بين الأمثال أحبنا كثيرا، جزاه الله تعالى عنا[٢] خيرا

ومنهم الشاب الساكن السليم تلميذ مولانا الشيخ عبد الكريم صاحب الأصل والنبأ الشيخ محمد الشهير بابن مرحبا[٣] هو رجل من الأصائل متحل[٤] بخطابة جامع طينال من الأفاضل، صنع (١٧ أ اسطنبول) لنا

(١) لم اعثر له على ترجمة.
(٢) «عنا» ساقطة في نسخة اسطنبول.
(٣) لم اعثر له على ترجمة.
(٤) جاءت في الأصل «متحلي».

سيرا كان حاضره الشيخ عبدالكريم في محل منتزه وسيم فلما أقبل علينا خاطبته بهذه الأبيات التي سمحت بها ذلك الوقت القريحة اذ كانت من فراق الأحبة جامدة جريحة وهي:

(الطويل)

اهلا وسهلا ثم اهلا ومرحبا بمن قد تسمى في الورى بابن مرحبا
خطيب له أصل وفصل وفطنة وفضل غدا بين الأنام له نبا
وعذرا فإني قد عجزت وقصرت عزائم فكري، ثم طرفي لقد كبا
وأوصافكم يعيا بها كل مادح ولو زاد مهما في المقال وأطنبا

(١٩ أ بر)

ومن اجتمعنا به من المشايخ الصوفية المنسوبين الى الحضرة القادرية الشيخ علاء[١] الدين الشهير بابن طبيخ له زاوية بأعلى[٢] الجبل يقال لها قبة النصر لا يشبهها في حسن مشرفها محل فإنها مشرفة على المدينة وعلى ما احتوت عليه وعلى البحر وسائر النهور الداخلة اليه، وهو عليه ابهة الصالحين ومتقيد بالفقراء والمريدين مع شرف نفس وعفة ودين، وقد احبّنا واحببناه وكلفنا الى زاويته المذكورة ودعا لنا بدعوات مقبولة مجبورة. وله أخ له فضيلة ومصاحبة مأنوسة جميلة. وقد قصد التوجه الى بيت المقدس ونحن هناك فطلب من الفقير أن اكتب لحضرة الأفندي لأجل علوفته[٣] (من) الجوالي[٤] على سبيل الشفاعة ولم يكتب العرض بخطه لشدة عفته وحياه، فكتبت لحضرة الأفندي أطال الله تعالى

---

(١) جاءت مطموسة في نسخة اسطنبول ولم اعثر له على ترجمة.

(٢) جاءت في النص «بأعلا»

(٣) العلوفة: بالاصطلاح والاستخدام العثماني تعني المخصصات والارزاق، انظر:
Gibb and Bowen. Ibid. Part I, P. 42.

(٤) الجوالي: حول ضريبة الجوالي أي الجزية، انظر مقالة:
Cl. Cahen, «Djawali» E. I. 2, Vol. II, p. 490.

بقاه هذه الأبيات كما تراه وهي (١٩ ب بر).

(السريع)

يـا فريـد الورى بـذا العصر دمـــت في عز منزل العصر
قصد ذا العبد تسمحوا كرما وامتنانا لشيخ قبة النصر
فـإنـه قـد غـدا يسير الى ايليـــاء في آخر الشهر
ومثلـه من يعـان في سفر لأنـه في غـايـة الفقر
(١٧ ب اسطنبول)
وقدرجا[1] ذاك وهو في خجل فاسمـحوا واغنموا لـذي الأجر
وهو يدعو لكم، اذا أبدا كل وقـت يكون في الـذكر
واسلم الـدهر لا ترى نكـدا رافـع القـدر عـالي الـذكر

فكتب عليه بخطه الشريف مجيبا نظما بزيادة على المطلوب:

سيـدي الآن قـد سمحت لـه بـالـذي يستحـق من قـدر
وامتثلنـا لأمر حضرتـكم ومنحنـا مخـافـة الغـدر
وعنـد عزم المسير نمنحـه بلغـة يستعـين في السفر

وممن اجتمعنا به الشيخ الصالح والدرويش الفاضل الفالح المنلا مصطفى المشهور بفدائي دده العنتابي رجل من افاضل الدراويش المولوية وهو دعجي[2] (٢٠ أ بر) بها مع انه للمشيخة مستحق وصالح لها، له طبع موزون ومشاركة في بعض فنون، صاحب ديوان شعر بالتركية يتضمن الغزل الرقيق والتضامين المتضمنة لكل معنى دقيق وله مؤلفات ايضا منها ترجمة منطق الطير للعطار[3] سماها منطق الاسرار وترجمة مهر

---

(١) جاءت في الاصل «رجى».
(٢) لم نعثر له على ترجمة.
(٣) فريد الدين العطار: ابو حامد محمد بن محمود النيسابوري المعروف بالعطّار من اقطاب الصوفية (ت٦٠٧هـ / ١٢١٠م) حول مؤلفاته وحياته وشعره انظر أحمد ناجي القيسي، عطار نامة أو كتاب فريد الدين العطار النيسابوري، وكتابه منطق الطير، بغداد، ١٩٧٨، انظر ايضا المقدمة الوافية حول حياة العطار التي وضعها الاستاذ القيسي، كذلك مقالة:

مشترى سماه عشق نامه للشيخ محمد العطار ومنظومة جمع فيها ما يحتاج اليه المتعلم من الالفاظ العربية بالتركية كهيئة الدانشان[١] واتقنها غاية الاتقان ولقد استكتبتها ومعي صحبتها وهو في نفس الأمر له جامعة ونكات حسنة ينشي ويطرب بها سامعه وقد لازمنا وكان غالب الاوقات لا يفارقنا.

ومن اجتمعنا به الشاب اللطيف من احتوى على كل معنى طريف[٢] محمد جلبي[٣] المشهور بابن الخوجة شاب له حسن شكل مقبول وعقل مع ادب به موصول وهو من بيت ذي عراقة وأصول، كان بيننا وبينه محبة وصداقة ومودة.

ومن اجتمعنا به شيخ المولوية[٤] (١٨أ اسطنبول) محمد افندي الرومي (٢٠ب بر) رجل اختيار له حشمة ووقار، اجتمعنا به مرارا وشرّفنا مزارا وحضرنا مجلس وعظه وسمعنا حسن تقريره للمثنوي بحلاوة لفظه ومجلسه الذي هو عبارة عن المولوية مكان لا نظير له في بقعة حسنة مرضية بين جبلين متقاربين أخضرين وهي بذيل أحدهما

H. Ritter, «Al-Attar» E.I. 2, Vol. I, PP. 752-755.

انظر ايضا منطق الطير. ترجمة ودراسة بديع محمد جمعه، الطبعة الثانية، دار الاندلس، بيروت، ١٩٧٩

(١) الدانشان: الدانش كلمة فارسية تعني المعرفة ومنها الدانشمند بمعنى العالم العارف.

(٢) وردت في نسخة اسطنبول «ظريف».

(٣) لم نعثر له على ترجمة.

(٤) نسبة الى مولانا جلال الدين بن بهاء الدين سلطان العلماء ولد بن حسين بن أحمد الخطيبي المعروف باسم مولانا جلال الدين الرومي (٦٠٤ هـ /١٢٠٧م ٦٧٢ هـ /١٢٧٣م) الذي ولد ببلخ وتوفي بمدينة قونية، تأثر بأبي حامد الغزالي وبالشيخ محي الدين بن العربي، من اشهر مؤلفاته المثنوي، حول حياته ومؤلفاته راجع:

H. Ritter, «Djalal al-Din Rumi» E.I. 2, Vol. II, PP. 393-396.

وكذلك انظر اسين بلاثيوس، محي الدين بن العربي، حياته ومذهبه، ترجمة عبدالرحمن بدوى، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩م. وكذلك: محي الدين بن العربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده (الكتاب التذكاري) باشراف وتقديم ابراهيم بيومي مدكور، الهيئة المصرية العامة، ١٩٦٩م.

مبنية بالأحجار مشرفة على وادي تخطه الأنهار وتحفه الأشجار يتخلل بين ذلك قطع من المرج الأخضر تحتوي على ساير الأزهار تنشرح بمرآها الصدور ويتردد اليها في غالب الاحيان للتنزه بها الأعيان والصدور بناها رجل يقال له صمصمجي علي، جاء الى طرابلس حوالة من قبل السلطنة العلية، فذهب يوما من الأيام بقصد السير الى ذلك المحل وكان في محلها قصر مبني يتنزه به أهل البلدة فأعجبه فقال ينبغي أن نبني هنا محلا للمولوية فبنى مكانا آخر للمقابلة وجعل لها وقفا من الخزينة العامرة الا أنه جزئي لها ليس فيه فيض عن اقامة اودها (٢١ أ بر) وذلك في حدود سنة ثمان[١] وعشرين والف من الهجرة النبوية على مهاجرها الف صلاة والف تحية. ومما اتفق لكتابه انني توجهت يوما لحضور المقابلة فكلفنا الشيخ المذكور الى خلوته. فأجبنا فلما استقر بنا الجلوس ترحب بنا وصاحبنا بكلام لطيف مأنوس، ثم أرانا كتابا في الادب وطلب منا ان يكون خطنا عليه للتبرك عنده فأجبناه وان لم نكن أهلا لذلك امتثالا للأمر التي[٢] هو من سلوك الأدب، فكتبت عليه في الحال ما سمحت به القريحة من غير اهمال وهو:

(مجزوء الكامل)

لمـــــا اتيـــــت لمجلس يسدعـــى بمولى خـــانـــه
وجلست فيـــــه[٣] ساعــــة أكرم بهــــا من ساعـــة
طـــالعتـــه فوجـــدتـــه قـــد حـــاز كـــل لطيفـــة

(١٨ ب اسطنبول)

فـــــدعوت ربي مسرعــــا وهو المجيــــب لـــــدعوتي
يبقـــى لمـــالكـــه الـــذي يبـــدي علوم حقيقــــه

---

(١) جاءت في الاصل «ثمانية».

(٢) كذا جاءت في النسختين.

(٣) وردت في نسخة اسطنبول «فيه» وفي نسخة برنستون «معه».

والعبــــد بجيي سائـــل منـــه الــــدعـــا بخلوه
فعسى الالـــــــــه يمن من فضـــل لـــه بـــاقـــالـــه

ولعمري لقد اجاد في بنائها في هذا المحل العظيم (٢١ ب بر) وفاز من الله سبحانه وتعالى بالثواب الجسيم وبالذكر الجميل الدائم المقيم الى يوم القيامة المقعد المقيم.

وأما كتّاب الخزينة العامرة فقد كانت محبتهم لنا وافرة فمنهم المحاسبجي[١] وهو رجل يقال له محرم جلبي الديار بكري قدم صحبة شاهين باشا بمنصب الروزنامة[٢] وعزل الذي كانت عليه فلم يحصل بسبب ذلك ملامة. فلما قدم المولى المشار اليه عزل محاسبجيّها القديم جعفر أفندي لأمر استوجب ذلك، وولّى منصبه لمحرم المذكور وأعاد الروزنامة للأول الاتي ذكره في هذا الرقيم، ومحرم افندي المذكور له نكات لطيفة وامثال تركية ظريفة، أمير الكلام في المصاحبة، حسن المسامرة والمداعبة، كنا معه ممتزجين ولشقاشقه مستمعين غير مجيبين.

ومنهم المقاطعجي[٣] رجل يقال له محمد أفندي ابن نوح باشا، كان والده ينكجريا من طائفة الشام وسلك هو هذا الطريق وله نوع معرفة وتحقيق وله بعض ذوق سليم وطبع مستقيم ولما ورد امر فتح (٢٢ أ بر) بغداد[٤] في حادي عشر رمضان من السنة المذكورة وحصل للناس غاية

---

(١) المحاسبجي: هو الرجل الذي يتولى امور مالية الولاية.

(٢) الروزنامة: مؤلفة من روز الفارسية بمعنى يوم ونامة: بمعنى رسالة، حول مهمة صاحب هذا المنصب راجع المقدمة لهذه الدراسة.

(٣) حول منصب المقاطعجي كجامع للضرائب وكمسؤول اداري، راجع:
William R. Polk, The Opening of South Lebanon, 1788-1840, Harvard University Press, 1963, PP 10-31

(٤) الاشارة هنا الى حملة السلطان مراد الرابع على العراق واسترجاعه بغداد سنة ١٦٣٨م/١٦٣٩م، راجع منها:
S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, Librairie du Liban, Beirut, 1968, PP. 68-74.

الفرح وظنوا ازالة الهم والترح وزينت البلدة من كل باب وضربت الاطباب (الاطبال) عمل تاريخا وانشدنيه وفيه ما فيه وهو:

(مجزوء الرمل)

عسكر الاسلام حقــــــا ربنـــا بـــالنصر حـــافــة
(١٩ أ اسطنبول)
قـــال لي الهـــاتـــف أرخ ملكو دار الخـــلافـــة

والحساب على قوله ملكو بلا ألف بعد الواو صحيح الا انه مخل عند أرباب القواعد والتصحيح، وبالجملة فلقد حصل لنا منه غاية الاكرام والمحبة اعزه الله تعالى وأحبه.

ومنهم التـذكرجي رجـب افنـدي ابن ادريس عـلي كـان والـده بلوكباشيا بالشام صاحب نقض على ما يقال وابرام، وولده المذكور خارج من حقوق منصبه قائم بهذه الخدمة على احسن وجه وأكمله وهو ذو حركة ظاهرة دون بقية الكتاب ومشرب صاف لا يعتريه بسببه همّ ولا اكتئاب، وكان خاله مفتيا في البلدة يقال له الشيخ مصطفى ابن كرامة[١] له عزة وكرامة مشهورا بالعلم والفضائل والحلم وقد سمعت أن من جملة كتبه الموقوفة كتاب الذخيرة[٢] فكتبت (١٣ ب بر) اليه هذين البيتين أطلبها على سبيل العيرة وهما:

(مجزوء الكامل)

يـــا عـــدة قـــد عـــدّه أهـل الفضـائـل للـذخـيرة
جـــد لي وأسرع عـــاجـــلا واسمح بـارسال الـذخـيرة[٣]

---

(١) حوله انظر دراسة محمد عدنان البخيت في «احداث طرابلس سنة ١٦٠٦/١٦٠٧»، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. العدد الاول، المجلد الاول، ١٩٧٨ ص١٧١ - ١٩١

(٢) الذخيرة، لا يحدد اسم مؤلفها ولا عنوانها الكامل لذا يصعب الجزم بموضوعها اذ ان حاجي خليفة يورد اكثر من كتاب باسم الذخيرة، انظر كشف الظنون، م١، ص٨٢٥ ٨٢٦.

(٣) البيتان ذكرهما في نسخة برنستون ثم شطبهما.

فكان الجواب ارسالها وتمتعت مدة بمطالعتها وله قد اعدتها.

ومنهم الروزنامجي يقال له محمد أفندي من مدينة آق شهر[1] له دعوى في انه ينظم بالتركية وان له في ذلك بعض حيثيّة والله تعالى أعلم بصدق دعواه وبما اشتمل عليه باطنه وما حواه.

ومنهم محمد أفندي المقابلجي الرومي الاصل والطرابلسي المنشأ والمولد رجل له استقامة مع كمال دين وهناوة ولين، متقيد بما هو فيه ولا ينطق الا بما يعنيه، من الصلحاء الخيّرين والأتقياء المشهورين، له معرفة تامة بالمقابلة مع حسن خط يشهد له به من رآه وقابله.

ومنهم خليفة المحاسبجي وهو عمدة الكتاب ومن تعوّل عليه (١٩ب اسطنبول) الدفتردارية في الأخذ والعطاء والحساب، سليمان جلبي الشهير بابن المذبوح وهو رجل خفيف الجثة والروح وله عقل تام (١٤أبر) مقرون بقلة الكلام يدرك الشيء ويحصيه ثم لا ينطق الا بما يعنيه، ذو همة عالية وافرة ومروءة كاملة غامرة، قد سلك بالديانة والصيانة والاستقامة مع وفور الامانة. ولعمري أنه وان كان قليل المناقشة فهو اهل لمنصب المحاسبة. امتزجنا معه امتزاج الأحباب واتخذناه من أجلّ الاصدقاء والاصحاب (أكثر الله تعالى من امثاله وزاده من انعامه وافضاله)[2]

ومنهم خليفة الروزنامجي مصطفى جلبي ابن زين العابدين أفندي المنفصل عن دفتردارية طرابلوس وديار بكر، هو شاب له فهم سليم وطبع مستقيم وله حيثيّة وقابلية واستعداد لكل قضية، كثّر الله تعالى[3]

---

(١) آق شهر بلدة في اواسط الاناضول من توابع مدينة قونية حول تاريخها، راجع مقالة:
Cl. Huart-F. Taeschner, «Ak Shehr» E. I. 2, Vol. I, P.313.

(٢) ساقطة من نسخة اسطنبول.

(٣) «تعالى» زائدة في نسخة اسطنبول.

من امثاله وزاده من انعامه وافضاله.

وممن اجتمعنا به القاضي محي الدين ابن الحميدي رئيس كتاب المحكمة الراغب في كل ما يورث الحطمة، له ملق لسان بعيد عن الخير والجميل والاحسان والناس يتكلمون (٢٣ب بر) فيه ولا يحبه احد، له دين ولا يشتهيه وبالجملة فما ذكرنا الا ما هو فيه، فنسأل الله تعالى العفو والعافية من السلوك في المظالم الموجبة للهاوية. وله اخ ايضا كاتب في المحكمة يقال له محمد ليس بأحمد، مستمد من فيضه فيضا. وبالمحكمة كاتب يقال له الشيخ محمد البتروني كأنه منسوب الى الحمار الأبتر وهو الاشهر والاظهر يحسّنه الناس بالنسبة الى القاضي محي الدين المذكور لأنه في غاية العجز والعيّ والقصور، «فانا لله وانا اليه راجعون»[1] في كل الأمور.

وقد رأيت لهم في محكمتهم[2] اختراعات عجيبة واحوالا غريبة منها ان الرجل اذا اراد ان يتزوج فيأتي اليهم فيكتبوا في صدر ورقة بياض اذن مولانا (١٠ أ اسطنبول) بعد أوصاف تحضرهم باردة.وقيود غير لازمة زائدة، القاضي بمدينة طرابلوس لفلان الفلاني ويسمون رجلا يعقد العقد اما من العلماء أو من الجهلاء بأن يعقد عقد فلانة على فلان من غير مانع شرعي ويجعل القاضي امضاءه في أعلا الورقة ويدفعونها لمن يريد ان يعقد العقد ويقبض القاضي (٢٣ أبر) على ذلك ما صدر عليه الوعد من غير تسجيل لذلك ولا العلم بتفصيل ما هنالك. ومنها ان غالب ما يصدر عندهم يكتبونه من غير تسجيل فيفضي ذلك الى ضياع حقوق الناس «فحسبنا الله ونعم الوكيل»[3]

---

(١) آية رقم ١٥٦ من سورة البقرة.

(٢) «محكمتهم» زائدة في نسخة اسطنبول ووردت على الهامش

(٣) آية قرآنية رقم ١٧٣ من سورة آل عمران.

فصل في ذكر البلدة المذكورة وما اشتملت عليه من المزايا والجوامع والمحاسن المأثورة:

هي بلدة مبنية في ذيل جبل واقعة في أحسن بقعة منه والطف محل، بناؤها كله بالأحجار، يسر النواظر والأبصار، الا انه قد تخرب[1] أكثره وانكسف أنضره ذات انهار جارية واشجار متلالئة وازهارها متنوعة زكية متضوعة وبحر عجاج متلاطم الامواج وبها من الجوامع المعدودين يومئذ للخطابة لدى كل باصر وسامع اثنا عشر جامعا خطباؤها تطرب السامعا: منهم الجامع الكبير[2] وله اربعة ابواب احدها: باب الفرج باستجابة الدعاء عنده[3] معروف شهير. وله خطيبان: حنفي وشافعي، فالشافعي صاحبنا الشيخ مصطفى وله به (٢٤ب بر) خلوة في نفس الجامع تشرح الصدر وتأخذ من القلوب بالجامع، ورئيس المؤذنين به رجل أصله من عكار يقال له الشيخ محمد ابن الطابوش[4] له نوع دخول ومعرفة في علم المقامات والأصول، وبه حلقة ذكر تقام يوم الجمعة بعد الصلاة من رجل خليفة لبني سعد

---

(١) «قد» ساقطة من نسخة اسطنبول.

(٢) شيّده السلطان المملوكي الاشرف خليل ابن السلطان قلاوون سنة ٦٩٣هـ /١٢٩٤م، في طرابلس على الضفة اليسرى لنهر ابي علي، وجاء في نقش موجود عليه ما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بانشاء هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الأعظم سيد ملوك العرب والعجم فاتح الأمصار وسيد الكفار، الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين خليل، قسيم أمير المؤمنين ابن مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي خلد الله ملكه في نيابة المقر العالي الأميري الكبيري المرّي عز الدين أيبك الخزندار الأشرفي المنصوري نائب السلطنة بالفتوحات والسواحل المحروسة عفا الله عنه، وذلك في سنة ثلاث وتسعين وستماية والحمد لله وحده» ووسّع في عهد الناصر محمد في سنة ٧١٥هـ /١٣١٥م، لمزيد من المعلومات حول هذا الجامع راجع فان برشيم، المصدر ذاته، ص٤٩ - ٥٠ وكذلك انظر السيد عبدالعزيز سالم، المرجع ذاته ص٤٠٠ - ٤٠٧، كذلك محمد كرد علي، المرجع ذاته، م٦، ص٥٣ ولقد وصفه الشيخ عبدالغني النابلسي بقوله: «وهذا الجامع مسع الجهات، قيل ان أصله كان كنيسة وله في فنائه صفف ورواقات وله في كل جانب من جوانبه الاربع باب عظيم وهو في وسط المدينة وفي وسط فنائه بركة ماء كبيرة، عليها قبة عظيمة بأربع عضائد، كل عضادة يحوطها اربع رجال» الرحلة الطرابلسية، ص٧٢

(٣) جاء في نسخة اسطنبول «عندهم».

(٤) لم اعثر له على ترجمة.

الدين[1] مع شرذمة يذكرون الله.

والثاني جامع طينال خارج المدينة من جهة باب آق[2] طرق المشهور بين الناس بباب اخترق وهو جامع عظيم غالبه بالرخام الجسيم لا سيما (٢٠ ب اسطنبول) ارضه فإنها كلها بالرخام، والباني مدفون به، وهو من الصلحاء المشهورين بين الأنام. ويليه جبّانة منوّرة بها قبور كلها معتبرة وكل القبور محجّرة.

والثالث جامع التوبة[3] جامع به انشراح وجالب للمسرة والافراح في نفس السوق بالقرب من الجسر التحتاني وفيه مكان يقال له الأحمدية مصلّا (كذا) مشرف على النهر يشرح الصدر لا سيما بكرة وعشية.

والرابع جامع العطار في نفس سوق البزوريين بانيه الشيخ العطار من الصلحاء المعروفين.

والخامس جامع اليونسية[4] (٢٥ أ بر) بالقرب[5] من المحكمة الكبيرة،

---

(١) بنو سعد الدين: نسبة الى الشيخ الصوفي سعد الدين الجباوي الذي بدأ الطريقة في حوران وارتحل نجله الشيخ حسن الى دمشق وسكن محلة القبيبات وعمّر هناك زاوية، وبعد وفاته جلس ابنه حسين على سجادته ليخلفه ابنه الشيخ أحمد الذي تولى تربية المريدين الى حين وفاته سنة ٩٦٣ هـ /١٥٥٥م وقبره هناك (في تربة القبيبات) معروف يزار ويتبرك به وجلس بعده على السجادة اخوه سعد الدين. ولقد نعم ابناء هذه الطريقة بعطف الدولة العثمانية عليهم عن طريق الاوقاف والعلوفات. انظر حسن بن محمد البوريني (ت١٠٢٤ هـ /١٦١٥م)، تراجم الاعيان من ابناء الزمان، ٢ م تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٥٩، ١٩٦٣، م١، ص٤٠ ، ٤٢، انظر ايضا:

M.A. Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, PP. 208-211.

(٢) كلمة تركية تعني الأبيض.

(٣) جامع التوبة: ملاصق للجسر الجديد على نهر ابي علي، بني في العهد المملوكي اذ انه يحمل نقوشا يعود تاريخها الى سنة ٨١٧ هـ /١٤١٤م، تهدم بسبب فيضان سنة ١٠٢٠ هـ /١٦١١م فجدد في العام التالي، انظر محمد كرد علي، المرجع ذاته، م٦، ص٥٣. يذكره الشيخ النابلسي في رحلته المصدر ذاته، ص٧٣

(٤) جامع اليونسية: لا تذكره المصادر المتوفرة لدينا وربما كان المقصود به جامع الأويسيّة الذي بناه محي الدين الأوسي سنة ٨٦٥ هـ /١٤٦٠م وانه جدد في عهد السلطان سليمان في سنة ٩٤١ هـ /١٥٣٤م على يد رجل يعرف باسم حيدرة. والجدير بالذكر ان الشيخ عبد الغني النابلسي يذكر جامع الأويسية ايضا ولا يذكر جامع اليونسية، وربما ان الامر كان قد اشتبه على المحاسني فسماه اليونسية. انظر محمد كرد علي، المرجع ذاته م٦، ص٥٤، السيد عبد العزيز سالم، المرجع ذاته، ص٤١٦ ، ٤١٧، النابلسي، المصدر ذاته، ص٧٢.

(٥) من هنا يتوقف نص نسخة برنستون مرة أخرى

غالبه مبني بالرخام في غاية الاحكام.

والسادس البرطاسية وهي بالقرب من الجسر الفوقاني بالرخام كلها مبنية، وبها شبابيك مطلة على النهر يسرح الناظر في مرآه، ويتمنى ان لا يخرج منها ولم يزل في حماه.

والسابع المحمودية[1] بالقرب من سوق يقال له سندمر[2] وهي معلقة يصعد اليها ببعض درجات وهي لا نظير لها ايضا.

والثامن جامع الطحّان[3] بالقرب، منها معلق ايضا، ومتسع فاض الانشراح فيه فيضا

---

(١) المحمودية: نسبة الى محمود بك أحد رعماء الوحدة العسكرية العثمانية في طرابلس. يذكر الشيخ عبد الغني النابلسي ان بناءه كان سنة ١١٠٠ هـ /١٦٨٨م بينما يذكر محمد كرد علي ان بانيه هو محمود بن لطفي الزعيم سنة ٩٦٧هـ /١٥٥٩م أيام السلطان سليمان القانوني. وهو في محلة بوابة الحدادين. ويشير اليه العطيفي في رحلته فيذكره بقوله: ...بناء حسن يسمى المحمودية. شكل ايوان مطل على النهر المزبور (ابي علي) وعلى الجسر الذي يمر عليه من الطرف الشرقي الى الغربي ويجتمع الناس هناك. وبه ماء جار في ساقية مبنية يجتمع ماؤها في بركة ثم ينصب الى النهر فكنت غالب ايام اقامتي اذهب الى هذا المكان واجلس فيه لاختلي بالعبادة وانزه الطرف وافرح القلب» من هنا فان ما جاء لدى الشيخ النابلسي غير دقيق. راجع العطيفي. المصدر ذاته. ص٢٢٢. النابلسي. المصدر ذاته. ص٧٣، محمد كرد علي. المرجع ذاته. م٦ ص٥٤.

(٢) سندمر هو سيف الدين اسندمر الكرجي المنصوري تولى نيابة طرابلس للمرة الأولى في عهد السلطان الناصر محمد من سنة ٨٩٦هـ /١٢٩٦م ٦٩٩هـ /١٢٩٩م. وتولاها ثانية لمدة اطول من السابقة من سنة ٧٠٢هـ /١٣٠٢م - ٧٠٩هـ /١٣٠٩م في عهد الناصر محمد ايضا. واثناء ذلك شارك في فتح جزيرة ارواد. أسس في طرابلس حماما وقيسارية وطاحونا ومساكن لمماليكه في طرابلس كما اعاد بناء جزء كبير من قلعة صنجيل وشيد ابراجا بطرابلس» وكان تأسيسه للحمام سنة ٧٠١هـ /١٣٠١م، وخان المنزل الذي بناه يعتبر اهم واجمل خانات طرابلس وتولى بعد ذلك نيابة حلب. راجع ابن حجر العسقلاني. الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة. ص٤١٤ - ٤١٥ رقم الترجمة ٩٨٨. انظر ايضا السيد عبد العزيز سالم. المرجع ذاته. ص٣١٨ ٣١٩. ص٤٥٢ - ٤٥٤.

(٣) جامع الطحان: يذكره الشيخ النابلسي باسم الطحال بينما يذكره محمد كرد علي الطحام ويورد عنه ما يلي: «وجامع الطحام داخل البلد ولم يعلم اسم بانيه ولا تاريخ بنائه. وشكله وطرز منارته يدل على أنه بني زمن المماليك» وعلى الأرجح ان اسمه الصحيح الطحان. انظر النابلسي، المصدر ذاته. ص٧٢ محمد كرد علي. المرجع ذاته. م٦ ص٥٤

والتاسع جامع يغن[١] شاه عند باب اخترق متسع منور عريض، تطل شبابيكه على البساتين وعلى فضاء مخضر أريض وبوسطه بركة ماء عظيمة، فإنه عبارة عن اربع ايوانات والبركة في وسطه محكمة جسيمة.

والعاشر جامع التفاح[٢] لا يصلي فيه الا الجمعة وله اشراف عجيب بالقرب من الدباغين، وهو مشرف على النهور والبساتين.

والحادي عشر جامع محمود بيك خارج باب التبّانة معلق ايضا وله حسن بناء وترصين، ولقد عددت فيه من القناديل البلور الطوال والمدورات الكبار نحو تسعين، وخطيبه صاحبنا نقيب الاشراف السيد حسين.

والثاني عشر جامع (٢١ أ اسطنبول) القلعة[٣] وهو ايضا عظيم الشأن. والقلعة واقعة في ذيل الجبل محكمة البناء يصعد اليها ببعض درجات وآغتها[٤] يقال له الحاج أحمد وقد انتقل بالوفاة الى رحمة الله الصمد،

---

(١) جامع يغن شاه. يذكره الشيخ النابلسي باسم «جامع الغناشاه» مسجد مملوكي لا نعرف تاريخ بنائه، هذا مع العلم انه يحمل نقشا يعود تاريخه الى سنة ٨٨٠ هـ /١٤٧٥م يأمر فيه «بحماية زراعة اراضي الوقف للمسجد المذكور وتسليمها الى السيد نور الدين الأدهمي الحسيني» «ولقد اعيد بناء هذا الجامع حديثا بعد سقوطه ووضعت له القساطل الحديدية لجر المياه» انظر فان برشيم. المصدر ذاته، ص١٢٩ - ١٣٠. وكذلك انظر النابلسي. المصدر ذاته، ص٧٢. محمد كرد علي، المرجع ذاته، م٦، ص٥٣. السيد عبدالعزيز سالم. المرجع ذاته. ص٤١٥ - ٤١٦

(٢) جامع التفاح: يذكره الشيخ النابلسي باسم «جامع التفاحي» لا نعرف عنه شيئا. انظر النابلسي، المصدر ذاته، ص٧٣. وربما كان هذا المسجد هو نفس المسجد الذي يذكره السيد عبدالعزيز سالم باسم مسجد الدبّاغين. المرجع ذاته. ص٤١٥

(٣) ذكره الشيخ النابلسي. المصدر ذاته. ص٧٣

(٤) الآغا مصطلح تركي يعني الكبير أو الرئيس. انظر شمس الدين سامي. قاموس تركي، اسطنبول. سنة ١٣١٧. ص٣٨ والجدير بالذكر انه كان قد تم تجديد برج في القلعة في عهد السلطان سليمان القانوني. حيث يذكر احد النصوص فوق باب القلعة الكبير ما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم رسم بالامر الشريف العالي السلطاني الملكي المظفري سلطان سليمان شاه ابن السلطان سليم شاه لا زالت اوامره الشريفة مطاعة في الامراء بأن يجدد هذا البرج المبارك ليكون حصنا مبيما على دوام. وكان الفراغ من عمارته في شهر شعبان المبارك سنة سبع وعشرين وتسعماية» انظر دراسة اسد رستم. قلعة طرابلس الشام. موقعها وموادها الاساسية ومساحتها وتحصيناتها ومناعتها ونقوشها الكتابية داخل بنائها الحالي. بيروت. سنة ١٩٢٨ ص١١ كذلك راجع مقالة: د

والكدخدا[١] يقال له الحاج ناصر الدين الحمصي وهما من الصلحاء قانع كل منهما بما قسم له ووعى. وغالب القبه قولي[٢] القرجية قاطنون بها، والآغة عليهم يومئذ يقال له قرط آغا له عقل وسكون. وقد اضافنا مع حضرة الأفندي والمتسلم يوما كاملا وكان يوم الجمعة فصلينا هناك وكان للبسط والحظّ شاملا، ودخلنا منزله وحيّا بنا بالاعزاز وعلو المنزلة.

وأما المشايخ الاولياء فقد زرنا بها الشيخ الولي فضل الله[٣] بالجبانة القريبة من جامع طينال، والشيخ الذي وقع على ولايته اجماعهم الشيخ مسعود المغربي[٤] رحمه الله ونفعنا به، وكذلك السيدة عيشة البشنتانية[٥] من الصالحات المشهورات عندهم. والشيخ ششبرك[٦] له قبر مهاب والشيخ عز الدين الموصلي[٧] بالقرب من الحمام المنسوب اليه والشيخ

J. Sauvaget, «Notes sur les Defenses de Marine de Tripoli» Bulletin du Musee de Beyrouth, December (1938) II, PP. 1–25.

(١) الكدخدا (كتخدا)، مصطلح اداري فارسي الأصل تعني الوكيل أو النائب.

(٢) القبه قولي Kapi Kulu عبيد الباب، أي باب السلطان. عند بداية فقدان الضبط والربط العسكري في وحدات الانكشارية اصبح هناك صراع ما بين العناصر العسكرية التي كانت تقيم في الولايات واصبحت تعرف باسم «اليرلية» اي المحلية والفوات التي كانت ترسل من حين لآخر من اسطنبول بقيت تحتفظ باسمها «القابي قول»، حول مثل هذا الصراع انظر:
A. Rafeq. The Province of Damascus, 1723–1783, PP 26–36
كذلك انظر دراسة نوفان رجا الحمود. حركات العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨١

(٣) يذكر الشيخ عبد الغني النابلسي، انه زار الجبانة القريبة من جامع طينال وانه قرأ الفاتحة على روح الشيخ فضل الله المغربي الذي كان فوق قبره قبة. فمن الارجح ان فضل الله المذكور هنا هو فضل الله المغربي، انظر النابلسي، المصدر ذاته، ص٩٣ ٩٤.

(٤) لم اعثر له على ترجمة.

(٥) لم اعثر لها على ترجمة.

(٦) لم أعثر له على ترجمة

(٧) يذكر الشيخ النابلسي حمام عز الدين «وهو اكبر من حمام النوري واحسن منه» المصدر ذاته، ص٧٣، وبانيه هو عز الدين أيبك الموصلي تولى نيابة السلطنة سنة ٦٩٤ هـ /١٢٩٤ م، بقي نائبا لطرابلس وبلاد الساحل الى ان توفي سنة ٦٩٨ هـ /١٢٩٨ م. ودفن في تربته لضيق حمامه هذا، انظر السيد عبد العزيز سالم، المرجع ذاته، ص٤٥١ ٤٥٢.

العارف الشيخ عمر خارج باب التبانة له مزار عظيم، والشيخ الهندي بباب الجامع الكبير مقابلة المدرسة الشمسية[1] والشيخ طقطمر اخو الملك الظاهر نفعنا الله تعالى بهم اجمعين.

وفيها من الحمامات[2] العمالات تسعة غالبهم في غاية ما يكون من حسن البناء، والرخام الذي هو في غاية الجلاء.

وبها مكان يقال له القناطر تسمى قناطر البرنز[3] وهو ملك النصارى صاحب طرابلوس القديمة، وهي عبارة عن وادي عظيم يقال له وادي السبعة بين جبلين وجسر عظيم مبني من الجبل الى الجبل يجري الماء عليه في ساقية ويأتي الى المدينة وهو ماء البلدة، ولأجل ذلك ترى الاماكن العالية كالقصور فيها الماء (٢١ ب اسطنبول) يجري لأنه بقدر الصعود يكون الهبوط ويذهب الماء منها بعد دخوله للمدينة الى المينة وهي الاسكلة[4] وهي عن المدينة مسافة بعيدة، والاسكلة المذكورة بها سبعة ابراج عظام وجامع مسور مشرف على البحر وسوق وخان والجسر المذكور مبني على اربعة قناطر، وفي مقابلته جسر آخر تمر عليه من ذلك الجبل الى هذا من سائر القرى وتحتها الأنهار جارية، وبالجملة هو مرأى تحار فيه الأبصار ويستنشق طيب الأهوية، يشرح الخاطر ويسر الناظر

---

(١) المدرسية الشمسية، من ملحقات الجامع الكبير منشئها شمس الدين المولوي سنة ٧٤٩هـ /١٣٤٩م، والجدير بالذكر ان مدخلها هذه الايام قد سد بالبناء واقيمت فيها مخازن. انظر فان برشيم، المصدر ذاته، ص٦١ ٦٢، السيد عبدالعزيز سالم، المرجع ذاته، ص٤١٩ - ٤٣

(٢) حول الحمام في الاسلام راجع مقالة:

J. Sourdel-Thomine, «Hammam» E.I. 2, Vol. III, PP. 139-144.

(٣) تحريف لكلمة Prince كانت المياه يؤتى بها من الجبال مجرورة على هذه القناطر، السيد عبد العزيز سالم، المرجع ذاته، ص٣٧١

(٤) الاسكلة: مصطلح يوناني دخل الى اللغة العربية باسم «سقالة» ثم دخل الى اللغة التركية عن طريق الاتصال التجاري والبحري، حول تاريخ هذا المصطلح انظر محمد عدنان البخيت، «من تاريخ حيفا العثمانية» مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان عدد (٢)، تموز ١٩٧٨، ص١٣١، هامش رقم ٣١.

وبها مكان يقال له البحصاص وهو تحت دير يعقوب بعيد عن المدينة ذهبت اليه فاذا هو عبارة عن عيون ماء نابعة على شاطىء البحر على الحصا وماؤها فيه خفة. وكنا طول اقامتنا نشرب من مائه لأن حضرة الأفندي حفظه الله عيّن من في كل يوم يأتي به وهو خفيف بالنسبة الى ماء البلدة فإنه ثقيل. وكذلك هواؤها تختلف باعتبار قرب البحر المهيل، وقد قلت مشيرا الى ذلك باعتبار ما هنالك.

(الوافر)

طرابلس الشام بـــــلا مراء بها حظ الغريب مع الصفاء
بأشجار غدت من كل جنس وانهــار تخـــط بـــلا ارتواء
وازهــار بهــا من كــل نوع تحير فكر ذي لـــــب وراء
وقسم آخر والصفـــح عنـــه لأولى عنـد اربـاب الحجـاء
وليس يسوء شخصا حل فيهـا سوى ثقـل الميــاه مــع الهواء

وبها من الأماكن المنتزه مكان يقال له رأس النهر[1] عبارة عن مرج اخضر عريض وروض مزهر أريض وبه نهر جاري والى البحر داخل وساري، والبحر قريب الى ذلك المكان بمرأ(ى) من الانسان. وقد ذهبت اليه في عزومة الأفندي والمتسلم المذكور، وكان يوما مقرونا بالنشأة والسرور فقلت وقد خطر بالبال على سبيل الارتجال (٢٢ أ اسطنبول):

(الوافر)

طرابلس الشام بهـــا ريـــاض حكت روضات جنات النعيم
بازهار غدت من كل صنف لهــــا عرف كمسك للشمـــيم

(١) يصفه المطيفي بقوله: «....الى ان وصلنا الى مكان به مخرج اخضر يشقه النهر الذي يمر في المدينة وينصب هناك في البحر له مرأى عجيب وشكل غريب يسمى ذلك المكان برأس النهر معد للتنزه كمرجة دمشق ومن حوله بساتين بها أزهار وأطيار وفي طرفه البحر يرى الجالس أمواجه والمراكب» المصدر ذاته، ص٢١٩

وانهار جرت من كل فج تخط الروض من فوق الأديم
وبحر زادها حسنا برأى يحير فكر ذي لب فهيم
ويوم قد قطعناه بأنس برأس النهر في روض وسيم
بصحبة كدخدا شاهين باشا رعاه الله من شخص حليم
له أنس ولطف ثم جبر لخاطر كل منكسر هشيم
بشاشة وجهه اضحت تسلي غريب الدار عن أهل حميم
شجاعته لقد شاعت وذاعت والقى الرعب في قلب الرجيم
وبالمولى المراد الدفتري حباه الله بالفضل العميم
فبشرى ثم بشرى ثم بشرى طرابلسا بحاكمك السليم
وحقا ثم حقا أن تتيهي على البلدان من شام وروم
لقد بلغت ما كنت ترجي وحزت منحة من ترومي
فلا زلت بطيب العيش دوما وعدل ثم أمن مستديم

وبها مكان يقال له صدر الباز[1]، لكن الشامي هو الحقيقة وهذا هو المجاز، لأن صدرنا واسع وصدرهم ضيق غير جامع، وقد عزمنا الى ذلك المحل رجل من الاعيان، وكان في حضور حضرة الأفندي أدام الله ايامه مدى الأزمان. فقال لنا من د:'نا وهو ممن مقاله يسمع، عندكم صدر الباز وهذا عندنا صدر الباز فقلت له: نعم، الا ان صدرنا أوسع، فالزم. وقال: نكتفي بهذا ونقنع ثم جرّ الكلام الى المفاخرة والفرق بين طرابلس والشام، فقلت في الحال بحسب ما سمحت به القريحة في ذلك المقام:

(البسيط)

قد قال لي صاحبي والفرق مقصده وكنت اذ ذاك في سير به أنسي
(٢٢ ب اسطنبول)

---

(١) صدر الباز: مكان في طريق الربوة، راجع محمد كرد علي، غوطة دمشق، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٥٣، ص ١٨٤.

هل بلدة في بلاد الله قد جمعت   للنهر والزهر والاشجار والغرس
فقلت ذا الوصف اضحى في دمشق يرى   كل ما في دمشق في طرابلس
لكنها افترقت عنها بجامعها   وبالحديث الذي يروى بها قدسي
وقد غدت جنة طوبى لساكنها   منها المراد وفيها مشتهى النفس

ثم أوردت لمن حضر قول ابن نباته في دمشق مبلغ الاماني والوطر

(الرجز)

دمشق في ارجائها مواضع   يصبو اليها ناظر وسامع
ربوتها وقصرها والجامع   هن ثلاث ما لهن رابع

وقول الاستاذ المقّري[1] ذلك العالم السري:

(الخفيف)

قال لي ما نقول في الشام حبر؟   شام من بارق العلى ما شامه
قلت ماذا اقول في وصف أرض   هي في وجنة المحاسن شامه

وفي نفس الأمر بينها وبين الشام مناسبة من جهة الانهار والاشجار والمنتزهات ولكل بلدة خصوصيات، وقد قلت مادحا لها عند المذاكرة بأماكنها:

(البسيط)

والله ما طلعت شمس ولا غربت   ولا سرى قمر في ظلمة الدعس
على بلاد بها للصدر منشرح   سوى دمشق ومن بعد طرابلس
وبعد ذا لحياة كلها عرس   وكل بسط بها اشهى من العرس

---

(١) ورواية البيتين في نفح الطيب على هذا النحو:

قال لي ما نقول في الشام حبر   كلما لاح بارق الحسن شامه
قلت ماذا اقول في وصف قطر   هو في وجنة المحاسن شامه

نفح الطيب، م١، ص٦٠.

يكفي لها شاهد من اهلها سند   عبد الكريم الذي من نوره قبسي
وابن عذرا حسين وهو صاحبنا   عدل زكي خلا من وصمة الدنس
فيا اله الورى متع بها دنفا   قد طال يرقب نجها رقب مختلس

ونحن كنا اقتصرنا على الشام وطرابلس لكن مولانا الشيخ عبد الكريم سلمه الله كان حاضرا فطلب اضافة ذكر حماه، فالحقنا ذكرها وتفوهنا بمدحها وشكرها، ثم غلب الوجد والغرام الى حمى دمشق الشام فقلت (٢٣ أ اسطنبول).

(مجزوء الرمل)

ان ارض الشام؟ [(١)] فضلهـــا أضحـــى مبينـــا
كـــل من يرحـــل عنهـــا نـــاقـــص عقـــلا ودينـــا

وقلت فيها ولم اقصد غيرها تموبها

(الكامل)

لودار شخص في البلاد بأسرها   او طار حتى في النجوم تعلقا
وأراد يمظر بلـدة هي جنـة   لرأى دمشق الشام أعني جلّقا
ولكان تارك كل شيء غيرها   ولكان ذا قلب بها متعلقا

ومما نظمته بها وقد غلب الشوق ولم يأت من الأحباب خبر يبل الغليل والشوق قولي:

(مجزوء الرمل)

ايهـــا ألاحبـــاب عني   ان تسليتم سريعـــــــــا
حبــــــــكم حشو حشاي   لم يرد منهـــا رجوعـــا

وقلت فيمن اسمه السيد محرم وفيه التورية الحسنة:

---

(١) كلمة مطموسة في رص اسطبول

(مجزوء الكامل)

قد قيل حبك سيد فاجبتهم ومكرم
دمي حلال عنده مع انه محرم

ومما كتبته في صدر كتاب الى الشام لبعض الأحباب:

(البسيط)

والله ما نظرت عيني الى حسن الا رأيتك أحلا لي من البشر
ولا صحبت نديما في طرابلس الا وذكرك أضحى دائما سمري

وأما الشتاء الذي رأيناه بها مدة اقامتنا لم يصدر عندهم قط على ما قاله كبارهم لنا حتى أني قلت في أيام فصل[1] شباط من شدة ما حصل به من الامطار والأهوية المفرطة غاية الافراط:

(البسيط)

احوال فصل شباط في طرابلس احوال من قد رمي بالبؤس والنكد
فتارة همل ثلج بعده مطر وتارة بهواء اثر ذي برد
والشمس فيه كأن الله أغربها والبدر لم ينتظره قط من احد
وفي الصيف له حر تشان به كأنه فيح نار محرق الجسد

(٢٣ ب اسطنبول)

قد كنت اسمع قولا قاله كذبا شخص تقول ذي الأوصاف عن صفد
صيّف بها تحترق شتّي بها غرقا يا بئس ما وصفوا يا قبح من بلد
حتى رأيت الذي قالوه أجمعه بطرابلوس يرى والصيت عن صفد

وأما الوقائع المسرة التي حدثت ونحن هناك من غير مضرة، فهي لما كان حادي عشر رمضان المعظم ورد الأمر الشريف والحكم الخاقاني المنيف يتضمن فتح بغداد ونصرة ظل الله تعالى على العباد، مولانا

(١) جاءت على الهامش «فصل شباط».

السلطان مراد ادام الله تعالى له الدولة أبد الآباد، وان مدة محاصرتها أربعون يوما وأخذت قلعتها وأدخل الله سبحانه وتعالى على الناس سرورا وآزال عنهم همّا وغمّا وشرورا وزينت البلدة ثلاثة أيام بحسب ما يقتضيه حال اهلها والزمان والمقام.

وفي رابع شوال ورد الامر الشريف بتولية البلدة لدرويش محمد[1] باشا المنفصل عن ديار بكر بعد الشام ومكتوب منه لحضرة الافندي الدفتري المشار اليه أسبغ الله نعمه عليه يتضمن أن يكون[2] عنه قائم مقام، فبادر في تسجيل الامر الشريف على هذا المنوال وعزل محمد آغا المتسلم المذكور سابقا وسافر بعد اربعة ايام، وحصل لأهل البلدة الفرج بعد الشدّة، وتوسلوا الى الله تعالى بطول هذه المدة، وسلك بها سلوكا حسنا، ولم يزل يعاملهم بما كان ارفق وأحسن، الا انه كان متعوبا مع القاضي لأنه كان عن عدم محبة الدنيا متغاضيا[3]، وهو يريد يسلك معه خير المسالك، والقاضي - سلّمه الله تعالى - بخلاف ذلك، حتى أنه غالب الأحيان لا يوجد من يشتكي الا على القاضي في الديوان، فلا حول ولا قوة الا بالله وبه المستعان من فساد الزمان المؤذن بقرب الأوان، لان الامر اذا جرى على خلاف القياس، اذن ذلك بهلاك الناس. وفارقناه وهو على ما ذكرناه ووصفناه (٢٤ أ اسطنبول).

وبالجملة والتفصيل: البلدة المذكورة لما كانت عامرة كانت معدومة

(١) درويش محمد باشا: جركسي الاصل. تولى نيابة الشام سنة ١٠٤٥ هـ /١٦٣٥م. «وكان ظالما جبارا ففتك في اهلها وتجاوز في ظلمهم الحد... ثم عزل وصار امير الامراء بطرابلس الشام وبعد ذلك ولي حكومة بغداد وتنقل في النيابات حتى ولي في آخر أمره الوزارة العظمى في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين والف ومات وهو في الصدارة» سنة ١٠٦٥ هـ /١٦٥٤م. انظر المحبي، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر، م٢ ص١٥٧ - ١٥٨، ولم يستقم طويلا في طرابلس الشام اذ انه عزل عنها في العام التالي. انظر الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٣٣٨.

(٢) «يكون» مذكوره على الهامش.

(٣) جاءت في الأصل «متغاضي».

المثيل، ولأجل ذلك امتدحها الشعراء من قديم الزمان، وجعلوها بمنزلة الانسان للعين والعين للانسان مع زيادة المبالغة ويدلك عليها هذان البيتان:

(الكامل)

الشام في وجه البسيطة عينها لكن طرابلس هي الانسان
لم يحو ثغر ما حواه بثغرها ولبرد لؤلؤ ثلجها ظمآن

وأقول لو قال هذا الشاعر المتوغل في المسالك والمواعر عوض لكن وغدت لكان اتم في المراد اذ الاستدراك هنا لا معنى له عند من له فهم وقّاد ونظر نقاد، والبيت الثاني فيه برودة زائدة دالة على عدم ذوق الشاعر وشاهده تظهر لمن دقق النظر فيه وشاهده، ولرجل آخر من قصيدة وكأنه قصد ترجيح طرابلس على الشام وهي منه مكيدة:

(الطويل)

لئن كان وادي الشام سادبمبسم طرابلس الفيحاء باسمة الثغر
حكت جنة الفردوس حسنا ومنظر وسكانها الولدان تسمو على البدر
حوت قصبات السبق بالقصب الذي حلا رشفه طعما على السكر المصري
وابراجها عد الكواكب سبعة[1] وتحمي حمى الاسلام من عصبة الكفر
بأربعة سادت وشاد مقامها على سائر الأمصار في البر والبحر
بابيض ثلج واحمرار كثيبها وخضرة مرج قد حكا زرقة البحر

ولقد صدق هذا القائل، فإنها قد جمعت لهذه الاوصاف الحسنة عند كل

---

(١) هذه اشارة الى ابراج طرابلس بالاضافة الى القلعة المملوكية التي اقيمت على مكان القلعة الصليبية (قلعة صنجيل) التي دمرت، اذ كان هناك:
١ - برج الشيخ عفان. ٢ - برج السباع. ٣ برج رأس النهر. ٤ برج المغاربة وكان يعرف باسم برج عز الدين. ٥ برج السراي أو برج الديوان. ٦ - برج المشنق أو برج ابي العدس. ٧ - برج البحصاص الواقع الى جنوبي طرابلس: انظر السيد عبدالعزيز سالم، المرجع ذاته، ص٤٣٨ - ٤٥٠.

ناقل، والبيت الاخير فيه صناعة جمع الالوان، الا انه بقي عليه اللون الاسود فكأنه اضمره فلم يظهر للعيان.

هذا ولما زاد الغرام ونفذ زاد الصبر عن حمى دمشق الشام، طلبنا الاجازة بالمسير من حضرة ذي الجناب الخطير أدام الله تعالى وجوده (٢٤ ب اسطنبول) وأفاض عليه سوابغ نعمه وجوده، فلم يسمح بذلك ولم يرتضي ما هنالك، ثم لا زلنا نتعطف بخاطره وما سمح حتى أخذ علينا موثقا بالعود سريعا الى ساحة مفاخره وذلك بعد كتب أبيات تطلبت بها الاجازة، وان تكون حقيقة بانشراح الصدر فارتضى ذلك وأجازه، والابيات المذكورة هي:

(البسيط)

مولاي يا كعبة أمّ الوفود لها   وملجأ قد غدا ركني وملتزمي

العبد يحيي له عجز بما صنعت   به أياديك من فضل ومن نعم

وقصده الآن أضحى من جميلكم   اجازة بانشراح الصدر والكلم

فإنه جاءه من حيّه طلب   لأجل صبيته الباكين والرحم

وعنده حيرة من أجل فرقتكم   وفكره بينكم أضحى بمنقسم

لكن[1] عذرا له من لطفكم كرما   فالشوق للولد أضحى غير منكتم

هذا وعندكم ما قد ذكرت لكم   أضعاف أضعاف ما عندي من الألم

وان أمرتم بعودي لم يغب جسدي   عنكم سوى شهر أو شهرين بالقسم

وأسأل الله بقياكم بكل هنا   متعين بأولاد مع الخدم

والشمل بالمصطفى الله يجمعه   مع أحمد لمحمد جمع ملتئم

ثم شددنا الرحال وعزمنا على الترحال، ووقفنا للوداع والقلب من ألم الفراق ملتاع. وودعنا ذلك الجناب وكل منا غالب عليه البكاء

---

(١) من هنا يبدأ النص مرة اخرى في نسخة برنستون.

والانتحاب، وناهيك بفرقة الأحباب التي هي أمرّ من الصّاب[1]، ولله در القائل وكأنّه عاين ذلك او سمعا.

(السريع)

فرقـــة الاحبـــاب مؤلمـــة لو تصيـب الصلـد لانصـدعـا

و(قال) المتنبي رحمه الباري جلّ وعلا:

(الخفيف)

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت لها المنايا الى ارواحنا سبلا[2]

وودعنا من بها من العلماء والسادة الفضلاء وكل منهم أبدى صدع (٢٥ أ اسطنبول) فؤاده من الفراق في الملا، وكان ذلك بكرة نهار السبت المبارك رابع شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ثمان واربعين (٢٥ ب بر)[3] وألف فحططنا الأثقال في قرية حلبا[4] ودموع العين من الم الفراق تنحدر على الخدود حلبا، فعند ذلك تذكرت حضرة المشار اليه، ولطفه مع أنسه الذي رأيناها لديه، وتلك الليالي والأيام التي كأنّها كانت أحلام، التي صدق عليها قول من قال وأجاد في المقال:

(البسيط)

كـأن أيـامـه من حسن بهجتهـا مواسم الحـج والاعيـاد والجمـع

---

(١) الصّاب: «عصارة شجر مر وقيل هو شجر اذا أعتصر خرج منه كهيئة اللبن وربما نزلت منه نزيّة أي قطرة فتقع في العين كأنها شهاب نار وربما اضعف البصر» انظر ابن منظور، لسان العرب، م٢، ص٢٥ (مادة صوب).

(٢) انظر ديوان ابي الطيب المتنبي، شرح ابي البقاء عبدالله بن الحسن بن عبدالله العكبري، تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، القاهرة، ١٩٣٦، م٣، ص١٦٣

(٣) يتوقف النص مرة أخرى في نسخة برنستون وجاءت في الأصل «ثمانية وأربعين والف».

(٤) قرية حلبا في عكار من محافظة الشمال، انظر انيس فريحة، اسماء المدن والقرى اللبنانية، ص١١١.

ثم انشدت قول الامام عبدالمحسن الصوري[1] الشاعر المجيد عليه من شآبيب الرحمة ما يبل كل غليل ووقيد:

(الخفيف)

لا رعى الله غرة[2] ضمنت لي سلوة عنه في الترحل عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت مثل قلبي تقول لا بد منه

وبتنا بها ليلة وقام شيخها بخدمتنا مسرعين لذلك من غير مهلة ورحلنا منها بكرة النهار، عازمين بالتوجه على وادى الأقمار، لكثرة الثلوج التي على جبال عكار، فنحن في اثناء ذلك المسير، واذا على قارعة الطريق في سفح جبل قبر طويل خطير، وبالقرب منه قبر أبيض عالي، مشرق متلالىء وبالقرب منهما قبر تحت مكان مبني بالاحجار، عالي المقدار، فوقفت اسأل عن ذلك راعيا رأيته هنالك، فقال: أما القبر الطويل فصاحبه يقال له الشيخ علي الدربي[3] له كرامات عند كل مار ودربي - والابيض الشيخ محمد له أحوال عجيبة ظاهرة غريبة: منها أن التركمان وسائر من بقربه قطّان اذا ارادوا أن يحلفوا أحدا فلا يجسر ان يحلف عليه اذا كان مبطلا أبدا، واما الذي داخل البناء يقال (٢٥ ب اسطنبول) له الشيخ هلال له ايضا شأن ونبا، فقرأت لهم الفاتحة، ودعوت الله تعالى بما تيسر من الدعوات عسى ان تكون مقبولة ناجحة، وسرنا ونحن في كمال النشأة بمن زرنا بين اتهام وانجاد، يشتمل على وديان بها زهور تشرح الفؤاد ونهور جارية مع عيون تنبع من كل مكان،

---

(١) عبدالمحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصوري الشافعي ولد في صور سنة ٣٢٩ هـ /٩٥٠م وتوفي بها في سنة ٤١٩ هـ/١٠٢٨م له ديوان شعر، انظر ترجمته في وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، م٣، ص٢٣٢ - ٢٣٥، وما نقله ابن العماد الحنبلي عن ابن خلكان في شذرات الذهب في اخبار من ذهب، م٣، ص٢١١ - ٢١٣، كذلك انظر كحالة، معجم المؤلفين، م٦، ص١٧٣، وانظر كذلك المصادر المذكورة عند كحالة.

(٢) جاءت في الأصل «غرته» والصواب غرة حتى يستقيم العروض.

(٣) علي الدربي: لم اعثر له على ترجمة.

وزهور من سائر الأنواع والألوان، صنعة القائل للشيء كن فكان حتى وصلنا الى قرية شذرة[١] وأهلها نصارى كفره لكنها في ذيل جبل وتحتها[٢] واد[٣] عريض بمياه تنحدر وروض أريض فنزلنا في مكان معد للنزول ولم نقبل منهم شيئا سوى الحلول. ورحلنا منها وكل منا من محل الكفران يهرول قاصدين بسيرنا قرية الهرمل، فنزلنا في احد بيوت مشايخها الثلاثة وجاءوا برمتهم الينا للسلام علينا وأمامهم الشيخ الفاضل جامع أنواع الفضايل الشيخ احمد ابن الشيخ احمد الشبلي. أخبرني احد جماعته انه من صفد واستوطن بعلبك ثم أخذه أهل هذه القرية وجعلوه اماما لهم ومعتقد وبالجملة والتفصيل له فضيلة أدبية ليس لها مثيل. كتب لي أبياتا وتلوها نثرا منمقة الألفاظ الا انها من عدم الربط والتناسب لا تخلو ولا تعرى وهي ظاهرة لك كما ترى وهي[٤]

(الكامل)

علم يتيه بفضله الأحكام ... جذلا ويشكر عدله الاسلام

وله اذا جد النزاع بأهله ... يوما وبرح بالخصوم خصام

(٢٧ أ بر)

وأتت[٥] مسائل غامضات قصرت ... عن ذهنها العلماء والحكام

علم به تحيى الحقوق وتنقضي ... سوق الشجار ويظهر الاعلام

واذا أجاب عن السؤال حسبته ... يلقي فريد الدر وهو كلام

كملت خلائقه فما يزرى به ... خلق ولا يسري اليه ذام

(٢٦ أ اسطنبول)

---

(١) قرية شذرة: يذكرها أنيس فريحة «شدرة» وهي في محافظة الشمال من بلاد عكار، المرجع ذاته، ص١٨٦

(٢) هنا يعود النص في نسخة برنستون.

(٣) جاءت في الأصل «وادى».

(٤) «وهي» زائدة في نسخة أسطنبول.

(٥) وردت في نسخة اسطنبول «وأنت».

ولما فرغت من قراءتها كتبت له وهو حاضرها:

(البسيط)

مولاي يا أحمد الأوصاف والأثر ... انت الامام الذي أعنو من البشر
قلدتني طوق جيد حاليا عطلي ... بالنثر والنظم والألفاظ كالدرر
في هرمل كان ملقاي بحضرتكم ... فزال ما كنت اشكو من عرى السفر
وطالما كنت مشتاقا لرؤيتكم ... والأذن تعشق قبل العين والبصر
فصح عندي ما قد قيل من زمن ... من نظم شعر غدا كالنقش في الحجر
قد كنت أسمع والركبان تخبرني ... عن أحمد ابن محمد أطيب الخبر[1]
حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... أذني باحسن مما قد رأى بصري[2]
والقصد ان تسمحوا عما بدا لكم ... من كل ما قد بدا مني ومن عجري
فان طرف جوادي قد كبا وغدت ... قريحتي من فراق الأهل في فكر

(٢٧ ب بر)

من اين لي اوازي حسن نظمكم ... وعظم[3] عذري اني الآن في سفر
لا زلتم لقبول العذر مؤتلا ... ومجبرين[4] لصدع الخاطر الكسر

ثم رحلنا منها وودعنا الشيخ المذكور وقال لم يقنعنا منكم هذه الليلة والحضور الى قرية شمث[5] وما وصلناها حتى زهقت النفوس وانقبض

(١+٢) البيتان تضمين من شعر ابي القاسم محمد بن هاني الاندلسي (ت٣٦٢ هـ /٩٧٣م) ورواية البيتين كما يلي:

(البسيط)

كانت مساءلة الركبان تخبرنا ... عن جعفر بن فلاح اطيب الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت ... اذني باحسن مما قد رأى بصري

انظر ديوان ابن هاني الاندلسي، دار صادر. دار بيروت، بيروت، ١٩٦٤م، ص١٦٥

(٣) جاءت في نسخة اسطنبول:

من أين لي ان اوازي حسن نظمكم ... ومعظم العذر اني الان في سفر

(٤) «مجبرين» جاءت في نسخة اسطنبول على الهامش وبخط يختلف عن خط الاصل «وجابرين».

(٥) قرية شمث: انظر اعلاه الهامش رقم (٢) ص٤٦.

القلب وما انبعث لأنه صادفنا هواء ممتزج ببرد ومطر فهذا هو الموجب للكدر وبتنا عند الشيخ يوسف المتقدم ذكره والى الشكر والحمد آل أمره.

ثم رحلنا وقت صلاة الظهر لنزول بعض ثلج الى بعلبك المشهورة في القطر، فلما وصلناها وللمشقات قطعناها استقبلنا مفخر الفضلاء ومرجع الخطباء مولانا الشيخ تاج الدين وولده الفاضل الفصيح ذو العقل الرازن الرجيح مولانا الشيخ محمد ذو الفضل المبين وهو الخطيب يومئذ بجامعها الكبير وإليه كل (٢٨ أ بر) من اهلها يشير فانزلنا الشيخ الكبير عنده واجزل كل منهما معروفة ورفده. وبتنا معهما في ليلة تشبه ليالي الحضر (٢٦ ب اسطنبول) لا ليالي السفر في منزل واسع رحيب وخير جزيل سهل قريب. ثم لما أن أصبح الصباح وظهر نور الشمس ولاح، قلت للرفاق: قوموا بنا على شرط الوفاق من غير تكاسل ولا تواني لزيارة الاستاذ العارف الشيخ طاوس اليماني[1] فلما وصلت لحضرته وتمتعت بمشاهدة بركته توسلت الى الله تعالى وأرجو القبول ببركته ودعوت بعدما صليت ما تيسر في ذلك المقام واستنشقت أرج القبول من حمى ذلك الشيخ الامام، ثم خرجنا وبما في البلدة أحطنا ومررت على بيوت بني الحرفوش واذا هي خراب مأوى للكلاب والوحوش فأنشدت بعدما استعبرت قول الشريف الرضي (٢٨ ب بر) صبت عليه الرحمة في البكور والعشي[2]

---

(١) طاوس اليماني: ابو عبدالرحمن طاوس بن كيسان. اول الطبقة من اهل اليمن. توفي بمكة المكرمة سنة ١٠٥ هـ /٧٢٣م. ادرك عددا من صحابة رسول الله ﷺ. واكثر روايته عن عبدالله بن عباس وروى عنه عدد كبير من اوائل رجال الحديث كمجاهد وعطاء وعمرو بن دينار والزهري وغيرهم. لمزيد عن حياته ورواياته راجع ابا نعيم احمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ /١٠٣٨م) حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، ٨م دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧، م٤، ص٣ ٢٣

(٢) انظر القصيدة المشهورة باسم «تلفت القلب» ديوان الشريف الرضي، ٢م، دار صادر، بيروت ١٩٦١ م١ ص١٨١.

(الخفيف)

ولقد وقفت[1] على ديارهم   وطلو لها بيد البلى نهب
فبكيت[2] حتى ضج من لغب   نضوى ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت   عني الطلول تلفت القلب

ثم تفكرت في أحوال الدنيا الدنيّة والى ما يؤول أمر الانسان فيها وما هي عليه منطوية وانشدت قول ابن عبدربه[3] ولقد اجاد ولله دره.

(الطويل)

الا انما الدنيا غضارة أيكة   اذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال الا فجائع   عليها ولا اللذات الا مصائب
فلا تكتحل عيناك فيها بقطرة   على ذاهب منها فإنك ذاهب

وبعدما تأملت اماكنهم تليت قوله تعالى «فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم»[4] ثم سرنا والى حمامها دخلنا فرأيناه يشتمل على وسطاني بايوان معظم مقابله ايوان ثان[5] وداخله رأس مستدير في كل قرنة ايوان صغير بالاجران الرخام، والماء السائل من رأس العين المروى (٢٩ أبر) لكل (٢٧ أاسطنبول) ظمآن، وبناؤه في غاية الاحكام والطلاوة. وبالجملة هو حمام اسلوبه في غاية الحلاوة.

---

(١) جاءت في الديوان «مررت».
(٢) جاءت في الديوان «فوقفت».
(٣) أحمد بن محمد بن عبدربه الاندلسي (ت٣٢٧هـ /٩٣٨م)، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين وابراهيم الأبياري. القاهرة، ١٩٥٢ م٤، ص١٧٥ «عضارة» جاء نضارة، راجع ايضا ديوان ابن عبد ربه الاندلسي، جمع وتحقيق محمد رضوان الدايه، الطبعة الاولى مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٩، ص٢١ ٢٢
(٤) آية قرآنية ٢٥ الأحقاف.
(٥) «ثان» جاءت في الاصل «ثاني».

ثم رحلنا منها ضحوة النهار عازمين على زيارة حضرة النبي شيت[1] العالي المقدار على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام ما بقي الفلك الدوار. فلما وصلنا الى تلك الحضرة الشريفة والبقعة العالية المنيفة استقبلنا خادمه ذو الفضل الوفي الشيخ علي وانزلنا في منزله[2] الكريم وقابلنا بالاجلال والبشر والتكريم وقام بخدمتنا وعم اكرامه لسائر رفقتنا، ثم توجهنا بالخضوع والانكسار الى زيارة تلك الحضرة التي تحار في أبهتها الأنظار، فلما شاهدتها أسبلت الدموع الغزار وقبّلت ذلك الضريح المنور المعظم المحجّر وقرأت ودعوت الله تعالى[3] بما تيسر وكتبت بيتين في الحائط القبلي كعادة من حضر ولم استطع الزيادة عليهما لهيبة المقام (٢٩ ب بر) وعدم الافصاح بالكلام وهما:

(الرمل)

يـا نبـي اللـه يا شيت الذي قد علا قدرا من الله الرحيم
عبـدك المسكـين يحيى جـاكم زائرا فاقبلـه من لطـف عمـيم

وطول قبره الشريف خمسون ذراعا وقد احتوى على قوس[4] من الحجارة من جهة الطول من كل ناحية ثمانية وعند رأسه الشريف قوس

---

(١) قبر شيت بن نوح حسب ما اورده ابو الحسن علي بن ابي بكر الهروي (ت٦١١ هـ /١٢١٥م) يقع بالقرب من كرك نوح في البقاع، انظر، كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل - طومين، دمشق ١٩٥٣، ص١٠، يذكر أحمد بن فضل الله العمري (ت٧٤٢ هـ /١٣٤١م) ما يلي «قبر شيت بقرية تعرف بشرعين بالقرب من كرك نوح» مسالك الابصار في ممالك الامصار، م١، تحقيق احمد زكي باشا، القاهرة ١٩٢٤، ص٢١٥، ولقد زار الشيخ عبد الغني النابلسي مقامه ويذكر انه ليس فيه خطيب ولا امام، وفيه مسجد محول الى تكية وان طول القبر نحو اربعين ذراعا وعرضه «يبلغ باعا وباعا» حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز، ص٦٧ - ٦٨.

(٢) وردت في نسخة برنستون «منزل».

(٣) «تعالى» ساقطة في نسخة برنستون.

(٤) جاءت «قيس» في كلا النسختين والأرجح انها «قوس».

واحد وعند رجليه قوس آخر زائد، وفي الخارج عند رأسه الشريف مكان عالي مصيف مرتفع مبلط متسع وفي وسطه بئر والمحل عليه قبة من حجر خطير، وخارج المزار جامعان عظيمان، أحدهما يقال له: الحضرة لأن تحته مغارة مهيلة خطرة يوضع فيها من كان به مرض من داء أو جنون فإنه يبرأ باذن الله تعالى الذي يقول للشيء «كن فيكون».[1] ولقد نزلت اليها وصليت بها

ثم ركبنا (٢٧ب اسطنبول) مسرعين وعلى بركة الله مجدين على طريق وادي (٣٠أ بر) يحفوفه[2] ومررنا على القرية المذكورة المشهورة المعروفة ولعمري ان تحتها وادي كأنه من منتزهات الجنان يحتوي على رقة هواء وماء كالزلال يروي كل ظمآن ومنظر تحار في حسنه العيون مع نهور جارية متخللة بينها[3]، ويحف ذلك نبع من عدة عيون يتمنى الانسان لو هناك أقام ولمكث عنده عام بعد عام. ولله در الصفي[4] كأنه اشار اليه بنظمه الوفي بقوله[5]

(الوافر)

وواد تسكن[6] الارواح فيه ... وتخفق فيه أرواح النسيم
به الأطيار قد قالت وقالت ... كلاما شافيا داء الكليم
تسلسل في خمائله مياه ... يقد أديمها قد الأديم

---

(١) آية قرآنية كريمة رقم ١١٧ من سورة البقرة. آية ٤٧ من آل عمران. آية ٥٩. من سورة ال عمران آية ٧٣ من سورة الانعام.

(٢) يحفوفة: قرية في البقاع. انظر انيس فريحة، المرجع ذاته. ص٣٦٥.

(٣) جاءت في نسخة اسطنبول «فيه»

(٤) صفي الدين الحلي: (ت٧٥٢ هـ /١٣٥١ م) حول حياته راجع شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢ هـ /١٤٤٨ م)، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، م٢، ص٤٧٩ ٤٨١.

(٥) انظر ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٢ ص٣٦٨ ٢٦٩.

(٦) جاء في الديوان «تسكر».

مروج بـالقلوب[1] بهـا مراح   كـأن عيونهـا أيـدي الكريم
لها أوج[2] اللطيمـة حين ينشا   ورقـة منظر الخـد اللطـيم
بنوار عن الانوار يغني   وزهر النجم عن زهر النجوم
مررنا[3] فيـه والاكبـاد حرّى   فنجـانـا من الكرب العظـيم
فروح ظلـه روح الأمـاني   واخمد برده نفس السموم
ونفس اذ تنفس عن كروب[4]   وفرّج حـين أرج عن[5] هموم
وأفرشنـا من النوار[6] بسطـا   مسردقـة بـأستـار الغيوم
جمعنـا للمسامـع في ذراه   هـديـل حمائم وهـدير كوم[7]

واسترحنا من مشقة عقبة الرمانة وتفرغت القلوب منها بعد ان كانت ملآنة، ومررت في أثناء ذلك على مكان عالي مشرق متلالىء يقال له جامع الدلة[8] بلغني أن (في) وسطه مغارة مهيلة مهابة جليلة وأن هذا الجامع للاولياء جامع، وانه يسمع فيه ليلة الجمعة ذكر وطبول، واشراق في جوانبه تجول (٢٨ أ اسطنبول) وان أهل تلك الاراضي لا

---

(١) جاء في الديوان «للقلوب». كما ان كلمة «مراح» جاءت في الديوان «امتزاح».
(٢) جاءت في الديوان «أرج».
(٣) جاءت في الديوان «فنزلنا فيه».
(٤) جاءت في الديوان «من كروبي».
(٥) «عن» جاءت في نسخة الديوان المنشورة «من».
(٦) «النوار» جاء في الديوان «الازهار».
(٧) الكوم: النياق العظيمة، لسان العرب، مادة قوم، م١٥ ص٤٣٤ ٤٣٥
(٨) الدلة: من ناحية الزبداني يضبطها الشيخ عبدالغني النابلسي بكسر الدال المهملة وتشديد اللام وهي في رأس جبل عالي، حلة الذهب الابرير، ص٦٣ يذكرها دفتران من دفاتر الطابو على النحو التالي:

	ط.د.٤٣٠	ط.د.٤٧٤
خانة	٣٤	٣٥
مجرد	٢	٤
امام	١	١
	ص٤٦٠	ص٢٨٨

يحلفون الا به ولا يتجرون على اليمين الباطلة بسببه لان بركته مجربة وهذه هي العلة، فدعوت الله تعالى وانا واقف من بعيد وما أمكنني الصعود (٣١ب بر) اليه لعدم التهيء به لذلك والتجريد وسير الرفقة ووجود المشقة.

ثم لم نزل نحث البغال والعيرة حتى حططنا الأثقال بتكية الدورة فاستنشقنا روائح الشام الذي هو أزكى من عرف البشام، وزاد الشوق اليها والهيام.

(الوافر)

وأقتل ما يكون الشوق يوما اذا دنت الخيام من الخيام

وبتنا والعيون لم تذق منام لأنها طالبة أمام؛ الى ان مضى الليل والظلام واقبل النور بعد القتام فسرنا مستبشرين وللقاء مترقبين متهمين ومنجدين نكاد من الشوق نطير، تالين «وهو على جمعهم اذ يشاء قدير»[١] حتى وصلنا الى الصالحية وعادت النفس مستبشرة[٢] مرضية فرأينا بها الاخ الشقيق والأولاد الذي كل منهم للروح شقيق. فحمدنا الله تعالى على الاجتماع وجلسنا معهم جلسة خفيفة لاستعمال شيء والقلب ساكن غير ملتاع ثم ركبنا جميعا ومشينا سريعا ودخلنا الى الشام وذلك ظهر يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة الحرام[٣] من شهور سنة ثمان[٤] واربعين والف من الهجرة النبوية على مهاجرها الف صلاة والف تحية ما طلعت شمس وغربت عشية (٣١أ بر).

(نجزت نسخا على يد العبد المذنب المفتقر لعفو ربه، القوي درويش محمد الطالوي عفى عنه)[٥] (٢٨ب اسطنبول).

---

(١) من آية (٢٩) سورة الشورى.

(٢) وردت في نص برنستون متبشرة

(٣) «الحرام» ناقصة من نص برنستون.

(٤) جاءت في الأصل (ثمانية).

(٥) زيادة في نسخة اسطنبول.

المصادر العربية

القرآن الكريم

أ. ي. ونسنك

المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي، مطبوعات بريل ١٩٣٦ - ١٩٦٩، أعيد تصويره في بيروت، لا.ت.

ابن أنس، الامام مالك، ت ١٧٩ هـ/٧٩٥ م

الموطأ، صححه ورقمه وخرّج احاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، لا.ت.

البدري، عبد الله بن محمد (ت ٨٩٤ هـ/١٤٨٨ م)

نزهة الانام في محاسن الشام، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١ هـ.

البغدادي، اسماعيل باشا (ت ١٣٣٩ هـ/١٩٢٠ م)

هدية العارفين: اسماء المؤلفين واثار المصنفين، ٢ م، مطبعة المعارف، اسطنبول، ١٩٥٥

البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن ايوب (ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م)

المسالك والممالك، قسم جغرافية الاندلس وأوروبا، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، ١٩٦٨ م.

البوريني، الشيخ حسن بن محمد (ت ١٠٢٤ هـ/١٦١٥ م)
تراجم الاعيان من ابناء الزمان، ٢ م، تحقيق صلاح الدين المنجد، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٥٩، ١٩٦٣ م.

ابن تغرى بردي، ابو المحاسن جمال الدين (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ م، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩ - ١٩٧٢ م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (ت ١٠٦٨ هـ/١٦٥٧ م)
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ٢ م، تحقيق محمد شرف يالتقايا والمعلم رفعت بيكلة الكليسي، مطبعة المعارف، اسطنبول، ١٩٤٣).

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م)
الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة، ٥ م، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة، ١٩٦٦

ابن حجة الحموي، تقي الدين ابو بكر علي (ت ٨٣٧ هـ/١٤٣٣ م)
خزانة الادب وغاية الأرب، بيروت، ١٣٠٤ هـ/١٨٨٦ م.

الحلي، صفي الدين (ت ٧٥٢ هـ/١٣٥١ م)
ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٢ م

الحموي الرومي، ياقوت (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م)
معجم البلدان، ٦ م، تحقيق فردناند وستنفلد ليبزج، ١٨٦٦، اعادت تصويره مكتبة الاسدي بطهران، لا.ت.

ابن حنبل، الامام أحمد (ت ٢٤١ هـ/٨٥٥ م)
مسند الامام احمد بن حنبل، ٦ م، المكتب الاسلامي، ودار صادر، بيروت، لا.ت.

الحنبــــلي الحلــــبي، رضي الـــدين محمـــد بن ابراهـــيم بن يوسف (ت ٩٧١ هـ/١٥٦٣ م)

در الحبب في تاريخ اعيان حلب، حققه محمود حمد الفاخوري ويحيى عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٣ م.

الخالدي الصفدي، أحمد بن محمد (ت ١٠٣٤ هـ/١٦٢٤ م)

تاريخ الامير فخر الدين المعني، تحقيق أسد رستم وفؤاد افرام البستاني، الطبعة الثانية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩ م.

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩ هـ/١٦٥٦ م)

ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، ٢ م، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، القاهرة، ١٩٦٧ م.

ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م)

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ٨ م، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ - ١٩٧٢ م.

ابن داؤد السجستاني، الامام ابو داؤد سليمان بن الاشعث بن اسحاق الازدي

سنن ابي داؤد، ٢ م، شرح وتعليق الشيخ احمد سعد علي، الطبعة الاولى، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٥٢ م.

الدويهي، البطريرك اسطفان (ت ١٧٠٤ م)

تاريخ الازمنة ١٠٩٥م - ١٦٩٩م، حققه الاب فردينان توتل اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥١ م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م)

الفتح الكبير في ضم الزيادات الى الجامع الصغير، ٣ م، جمع وتصنيـــف يوسف النبهـــاني، دار الكتـــب العربيـــة الكـــبرى،

القاهرة، ١٩٣١ م.

ابن شداد، عز الدين (ت ٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م)

الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة (تاريخ لبنان والاردن وفلسطين)، تحقيق سامي الدهان، منشورات المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢ م.

الشريف الرضي، محمد بن ابي احمد الحسن الطاهر (ت ٤٠٦ هـ/١٠١٥ م)

ديوان الشريف الرضي، ٢ م، دار صادر، بيروت، ١٩٦١ م.

ابن شهيد الاندلسي، احمد بن ابي مروان عبد الملك بن ابي عمر (ت ٤٢٦ هـ/١٠٣٤ م)

ديوان ابن شهيد الاندلسي، جمع شارل بلا، دار المكشوف، بيروت ١٩٦٣ م.

ابن شهيد الاندلسي، احمد بن ابي مروان عبد الملك

ديوان ابن شهيد الاندلسي، جمع وتحقيق يعقوب زكي مراجعة محمود مكي، القاهرة، لا.ت.

الصقاعي، فضل الله بن ابي الفخر (ت ٧٢٦ هـ/١٣٢٦ م)

تالي كتاب وفيات الاعيان، تحقيق جاكلين سوبله، منشورات المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٤ م.

ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣ هـ/١٥٤٦ م)

القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ٢ م، تحقيق محمد أحمد دهان، دمشق.

ابن عبدربه، احمد بن محمد (٣٢٧ هـ/٩٣٨ م)

العقد الفريد، ٧ م، تحقيق احمد امين، احمد الزين، وابراهيم الابياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٢ - ١٩٥٣ م.

ابن عبدربه الاندلسي، احمد بن محمد (ت ٣٢٧ هـ/٩٣٨ م).

ديوان ابن عبدربه الاندلسي، جمع وتحقيق محمد رضوان الداية، الطبعة الاولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩ م.

ابن عبدالظاهر، محي الدين (ت ٦٩٢ هـ/١٢٩٣ م)

الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦ م.

العطار، فريد الدين

منطق الطير، ترجمة ودراسة بديع محمد جمعة، الطبعة الثانية، دار الاندلس، بيروت، ١٩٧٩ م.

العطيفي، رمضان بن موسى (ت ١٠٩٥ هـ/١٦٨٤ م)

«**رحلة العطيفي**» تحقيق Stefan Wild الابحاث م٢٣ ١٩٧٠ م، نشرت ايضا مع رحلة الشيخ عبدالغني النابلسي: **حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز**، باسم **رحلتان الى لبنان**، منشورات المعهد الالماني للابحاث الشرقية، ١٩٧٩ م.

ابن العماد الحنبلي، عبدالحي، (ت ١٠٨٩ هـ/١٦٧٨ م)

شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ٨ م، دار الافاق الجديدة بيروت، لا ت

الغزي، نجم الدين (ت ١٠٦١ هـ/١٦٥٠ م)

الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة، ٣ م، تحقيق جبرائيل جبور، المطبعة الامريكية، بيروت، ١٩٤٥ - ١٩٥٩ الطبعة الثانية دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٧٩ م.

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ/١٤٠٤ م)
تاريخ ابن الفرات، المجلد الثامن، حققه وضبطه قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، المطبعة الامريكية، بيروت، ١٩٣٩ م.

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد (٧٤٢ هـ/١٣٤١ م)
مسالك الابصار في ممالك الامصار، المجلد الاول، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة، ١٩٢٤ م.

الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨٢٣ هـ/١٤١٥ م)
المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٩ م.

القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م)
صبح الاعشى في صناعة الانشا، ١٤ م، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣ م.

ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٢ م)
البداية والنهاية، ١٤ ج، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٨ - ١٣٥٨ هـ.

٤٠ـ ابن كنان، محمد بن عيسى (ت ١١٥٣ هـ/١٧٤٠ م)
المروج السندسية الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهان، دمشق، ١٣٦٦ هـ/١٩٤٧ م.

المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١ هـ/١٦٩٩ م)
خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر، ٤ م، تصوير دار صادر، بيروت، ١٩٧٠ م.

المقري التلمساني، الشيخ أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م)
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ٨ م، حقيق احسان

عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ/١٣١١ م)
لسان العرب، ١٤ مجلد، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥ - ١٩٥٦، وكذلك طبعة بولاق المصورة (١٣٠٠ هـ - ١٣٠٧ هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، لا.ت.

الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري (٥١٨ هـ/١١٢٤ م)
مجمع الأمثال، ٢ م، تحقيق محي الدين عبدالحميد، الطبعة الثالثة، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٢ م.

النابلسي، الشيخ عبدالغني (ت ١١٤٣ هـ/١٧٣١ م)
التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، تحقيق هريبرت بوسه، بيروت، ١٩٧١

النابلسي، الشيخ عبدالغني
حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز، تحقيق صلاح الدين المنجد، نشرت مع رحلة العطيفي باسم **رحلتان الى لبنان**، منشورات المعهد الالماني للابحاث الشرقية، بيروت، ١٩٧٩ م.

النابلسي، عبدالغني
علم الملاحة في علم الفلاحة، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩

ابن نباتة، ابو بكر جمال الدين محمد بن شمس الدين محمد بن الحسن (٧٦٨ هـ/١٣٦٦ م)
سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٦٤ م.

ابن نباتة، ابو بكر جمال الدين محمد بن سمس الدين محمد بن الحسن
ديوان ابن نباتة المصري، دار احياء التراث العربي، بيروت، لا.ت.

ابو نعيم الاصفهاني، أحمد بن عبد الله (٤٣٠ هـ،١٠٣٨ م).
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٨ م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧ م.

الهروي، ابو الحسن علي بن ابي بكر (ت ٦١١ هـ/١٢١٥ م)
كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل - طومين، دمشق، ١٩٥٣ م.

المصادر العثمانية

طابو دفتري ٢٦٣ (٩٥٥ هـ/١٥٤٨ م)
محفوظات رئاسة الوزراء، اسطنبول.

طابو دفتري ٣٨٣ (ح ٩٣٧ هـ/ ١٥٣٠ م)
مجفوظات رئاسة الوزراء، اسطنبول.

طابو دفتري ٤٠١ (ح ٩٥٠ هـ/١٥٤٣ م)
محفوظات رئاسة الوزراء، اسطنبول.

طابو دفتري ٤٣٠ (ح ٩٣٠ هـ/١٥٢٣ م)
محفوظات رئاسة الوزراء، اسطنبول.

طابو دفتري ٤٧٤ (٩٧٧ هـ/١٥٦٩ م)
محفوظات رئاسة الوزراء، اسطنبول.

طابو دفتري ٥٤٣ (ح ٩٧٦ هـ/١٥٦٨ م)
محفوظات رئاسة الوزراء، اسطنبول.

طابو دفتري ٧٦٧ (سنة ١٠٤٨/١٦٣٨ - ٩)
محفوظات رئاسة الوزراء، اسطنبول.

المصادر الأجنبية

Maundrell, Henry
A Journey from Aleppo to Jerusalem in 1679, Khayat, Reprint, Beirut, 1963.

Sanderson, John
The Travels of John Sanderson in the Levant 1584–1602, Ḥakluyt Society, Krans, Reprint, Nendein, 1967.

Sauvaget, J.
«Notes sur les Defense de Marine de Tripoli» **Bulletin du Musee de Beyrouth,** Decembre (1938) Vol. II, PP. 1–25.

Van Berchem, Max et Sobernheim, M. **CIA, Syrie–Nord, Tripoli,** Le Caire, 1909

المراجع العربية

باشا، عمر موسى

ابن نباته المصري امير شعراء المشرق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣ م.

البخيت، محمد عدنان

«احـــداث بـــلاد طرابلس الشام» ١٠١٥ هـ/١٦٠٦ - ١٠١٦ هـ/١٦٠٧ م) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الاول ١٩٧٨، ص ١٧١ - ٢٠٦

بدران، عبد القادر (ت ١٣٤٦ هـ/١٩٢٧ م)

منادمة الاطلال ومسامرة الخيال، المكتب الاسلامي، دمشق، ١٣٧٩ هـ.

البستاني، فؤاد افرام (محقق، وناشر)

لبنان مباحث علمية واجتماعية، ٢ م، بيروت، ١٩٦٩ م.

بلاثيوس، اسين

محي الدين بن العربي: حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩ م.

بلاَّ، شارل

ابن شهيد الاندلسي: حياته واثاره، عمان ١٩٦٥ م.

تدمري، عمر عبد السلام

تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، م١، طرابلس، ١٩٧٨ م.

تدمري، عمر عبد السلام

الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٣ م.

ثريا، محمد

سجل عثماني ياخود تذكرة - مشاهير عثمانية، نسخة مصورة عن طبعة اسطنبول، ١٣١١ هـ، أعيد تصويرها في مؤسسة:

Gregg International Publishers Limited, Hants, 1971.

الحمود، نوفان رجا

حركات العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١

الزركلي، خير الدين

الاعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ١١ م، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٩ م.

سالم، السيد عبد العزيز

طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي، الاسكندرية، ١٩٦٧ م.

ابن سودة، عبد السلام بن عبد القادر

دليل مؤرخ المغرب الاقصى، ٢ م، دار الكتاب، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٦٠ م.

شهاب، موريس

دور لبنان في تاريخ الحرير، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٨ م.

فريحه، أنيس

معجم الألفاظ العامية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٣ م.

فريحه، أنيس

اسماء المدن والقرى اللبنانية، سلسلة العلوم الشرقية، الجامعة الامريكية، بيروت، ١٩٥٦ م

القيسي، أحمد ناجي

عطارنامة، كتاب فريد الدين العطار النيسابوري، وكتاب منطق الطير، بغداد، ١٩٧٨ م.

كحالة، عمر رضا

معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٥ م، مكتبة المثنى بيروت، ودار احياء التراث العربي، بيروت، لا.ت.

الكتاني، عبد الحي

فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ٢ م، المطبعة الجديدة، فاس، ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ.

كنون، عبد الله

« ابو البقاء الرندي وكتابه « الوافي في نظم القوافي » صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، م٦، (١٩٥٨ م)، ص ٢٠٥ - ٢٢٠

كرد علي، محمد (ت١٩٥٣ م)

غوطة دمشق، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٥٣ م.

كرد علي، محمد

خطط الشام، ٦ م، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١ - ١٩٧٢ م.

كراتشكوفسكي، اغناطيوس

تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ٢ م، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم

القاهرة، ١٩٦٥م.

الشهابي، مصطفى

معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، اعداد احمد شفيق الخطيب، مكتبة لبنان، بيروت.

مدكور، ابراهيم بيومي (محرر)

محي الدين بن العربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٩م.

المنجد، صلاح الدين

مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٧م.

المراجع الأجنبية

Bakhit, M. A.

The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century, Ph. D. Thesis, SOAS, London, 1972.

Hachicho, Mohammad Ali

English Travel Books about the Arab Near East in the Eighteenth Century, Leiden, Brill, 1965.

Gibb, Sir Hamilton and Bowen, H.

Islamic Society and the West. Vol. I, in 2 parts (O. U. P.), London, 1962, 1963.

Inalcik, Halil

The Ottoman Empire, The Classical Age, Weidenfeld and Nicolson, London, 1963.

Lewis, B.

The Emergence of Modern Turkey, 2nd edition, (O. U. **P.)** 1968.

Lewis, B.

«The Ottoman Archives as a source for the history of the Arab Lands» **JRAS** (1951), PP. 139-155.

Longrigg, H. Stephen

Four Centuries of Modern Iraq, New Impression, Librairie du Liban, Beirut, 1968.

Mach, Rudolf

Catalogue of Arabic Manuscripts (Yahuda Section) Princeton University Library, Princeton University Press, 1977

Rafeq, A.

The Province of Damascus 1723–1783, Khayat , Beirut, 1966.

Salibi, Kamal S.

«The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579–1640» **Arabica,** Vol. XX (1973) PP. 25--52.

Polk, William R.

The Opening of South Lebanon, 1788–1840, Harvard University Press, 1963.

فهرس الاعلام

ح

خ

د

س

ش

ص

ط

ظ

ع

ن

فهرس الكتب والمجلات

اسم الكتاب او المجلة	الصفحة

فهرس المصطلحات والتعابير والمفردات

أ

ب

س

ش

ط

ع

ق

ك

فهرس الأماكن

ج

ح

ز

س

ش

ي